النادي الشبابي

علي الطنطاوي

محمّد بن عبد الوهّاب

١

أعلام التاريخ

٦

دار الفكر بدمشق

علي الطنطاوي

محمّد بن عبد الوهّاب

بدوي

(١)

دار الفكر بدمشق

جميع الحقوق محفوظة

يمنع النقل والترجمة والاقتباس
للاذاعة والمسرح وغيرهما إلا باذن خطي من المؤلف

الطبعة الأولى

١٣٨١ - ١٩٦١

الناري الشبابي

مطابع دار الفكر بدمشق
☎ ١١٠٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،
اللهم اجعل عملي هذا خالصا لك ،
اللهم إني أسألك أن تنفع به ، وأن تثيبني عليه ،
وصل اللهم على سيّدنا محمد معلّم الخير وعلى آله
وصحبه ومن تبعهم باحسان .

سيرى القارىء حين ينظر في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أنه لم يكن عالماً كبيراً، ولكنه كان معلماً كبيراً. ولقد كان في عصره من هو أعلم منه، واحفظ لفروع العلم، وأكثر إحاطة وتصنيفاً، ولكن لم يكن في عهده، بل لم يكن في المسلمين من خمسمئة سنة إلى اليوم، من هو أعمق منه أثراً في المجتمع الإسلامي، على رغم أنه نشأ في محيط ضيق وفي بلد بعيد عن مركز الحياة الفكرية الاسلامية.

وما اهتز هذا المجتمع هزة، كانت أشد من الهزة التي أحدثها هذا الرجل، وأني لأعجب الآن من عنف (الدعاية) التي حورب بها، ومن قوتها.

حرب الدعاية

لقد أثاروا عليه موجة من (الدعاية)، بلغ من قوتها أنه مرّ عليها أكثر من مئتي سنة، ولم تهدأ تماماً ولا تزال ذيولها تضرب صخرة الشاطىء، وإن فقدت شدتها وحدّتها من زمن بعيد.

ولست أحصي الكتب والرسائل التي ألّفت لمحاربة هذه الدعوة التي سموها (الوهابية)، وعندي منها في مكتبتي أكثر من إحدى عشرة رسالة، جاءت عرضا، ما تتبعتها، ولا ابتغيت جمعها، ولا تزال ترد عليّ

رسائل جديدة ، آخرها رسالة تلقيتها من قريب من حلب ، يكرر صاحبها ما قاله قبله ألف كاتب من جواز التوسل ، ويزيد عليهم بأنه (يثبت !) فيها أن (أهل القبور من المؤمنين لهم حياة كاملة بلوازمها من السمع والبصر والكلام) إي والله ، ونسي أن من لوازمها بالطبع الزواج والتجارة ومراجعة المحاكم والقعود في القهوات وأنهم (يردون السلام ويتزاورون فيما بينهم) وهذا كلامه بالحرف ، أي أن لأهل القبور استقبالات وولائم وحفلات ...

ونحن نقرأ اليوم هذا الكلام للتسلية والفكاهة ، ولكنه كان يقرأ من قبل ، على أنه هو الدين ، وهو مذهب الحق ، وأن من أنكره وهابي مبتدع ، حقيق بازدراء الناس وسوء المنقلب .

وهابيون :

ولقد أدركت أنا بقايا القوة في هذه الدعاية ، وكنا نتجادل ونحن صغار في المدرسة في التوسل ، جوازه ومنعه، ونعيد ما كان يقوله الكبار كما يعيده أخونا مؤلف الرسالة الحلبية ... وكان في دمشق نفر قليل من العلماء ، كنا نسمع من مشايخنا التحذير الدائم منهم ، ووجوب البعد عنهم لأنهم وهابيون منهم من نسمع به ولا نعرفه، ومنهم من كنا نعرفه شكلاً ، كالشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الرزاق البيطار وسبطه الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد القادر بدران والشيخ

أحمد النويلاتي والشيخ عبد الله العلمي والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ سعيد الباني وكان كل من يتصل بهم يعد من الوهابيين، كشكيب أرسلان ومحمد كرد علي ومحب الدين الخطيب، بل لقد اتهموا بذلك فارس الخوري لأنه كان يتردد على الشيخ طاهر، فما خلصه من هذه التهمة إلا علمهم بعد بأنه مسيحي.

مضحكات ومبكيات:

ولقد خبرني الأستاذ أبو الاعلى المودودي أنه كان في بلده (في الهند) مرابٍ مجوسي، يستقرض منه بعض جهلة المسلمين بالربا الفاحش، وكان له على واحد منهم دين عجز عن وفائه، فرفع المرابي الأمر إلى القاضي، فجاء المسلم المسجد فقام فيه، فقال:

ـ إن فلاناً (المرابي) قد صار وهابياً.

فقاطعه المسلمون حتى كاد يفلس، فتحرى عن السبب، فلما عرفه، رجع إلى المدين فاسقط عنه الدين، وترضاه، على أن ينفي عنه هذه التهمة.

فعاد المسلم إلى المسجد، فقال:

ـ إن فلانا قد تاب من الوهابية ورجع إلى دينه.

فرجعوا إلى معاملته.

* * *

ولقد ذكرت في ترجمة أحمد بن عرفان الشهيد، خبر الدولة الإسلامية التي أقامها في شمالي الهند، وحاربت السيخ وكسرتهم وعجز عنها الانكليز، فلم يجدوا وسيلة الى القضاء عليها، إلا اتهامها عند شيوخ القبائل الأفغانية، بأنها دولة وهابية، فاستحلوا بذلك قتالها وقضوا عليها.

وخبرني الشيخ فوزان (سفير السعودية الآن في الهند) لما قابلته في بومباي، أن المنبوذين في الهند، وهم زهاء أربعين مليوناً، قبلوا الدخول في الإسلام، من نحو ربع قرن وأقبلوا عليه أفواجاً، فما كان من الانكليز إلا أن عمدوا إلى سلاحهم القديم، وهو التهمة بالوهابية، فأثاروا بذلك العامة، وأفهموهم أن هؤلاء إن أسلموا صاروا وهابيين، فعقدت لهم امتحانات، يسألونهم فيها عن الوهابية، ورأيهم فيها وفي مسائلها.

فكانت العاقبة أن انصرفوا عن الإسلام، وآثروا البقاء على ما هم عليه.

وقد قرأ القراء في كتابي عن اندونيسيا خبر وصول هذه الموجة إلى أوساط جزيرة جاوا وأنه ما فرق المسلمين فيها إلا كتب يوسف النبهاني.

ولقد نالني أذى في صغري لأني وقفت على حلقة الشيخ عبد القادر بدران في الأموي، وسمعت اللوم والعتاب في شبابي لأني كسرت القيد، وهتكت الستر حين جمعت الوهابية من أطرافها، فقرأت كتاباً لابن تيمية، مع الأستاذ الشيخ بهجة البيطار في دار الشيخ ياسين الروّاف!

ذلك لأنهم يرون ابن تيمية شيخ الوهابية الأكبر، وإن كان قبل محمد بن عبد الوهاب بقرون.

أسباب هذه الحملة

ولقد اعتاد كثير من المؤرخين نسبة هذه الحملة على الوهابية إلى الدعاية السياسية العثمانية ، مع أن العثمانيين كانوا أعجز من أن يقوموا بها ولا أدري كيف يتصور أن يكون لهم في ذلك العهد هذا الجهاز القوي للدعاية ، الذي تعجز عن مثله دول هذه الأيام ؟ لا ، ولكن قام بها المشايخ الذين كانوا ينتفعون من تلك البدع ، وكانت هي مصدر رزقهم ، وسبب تعظيم العامة لهم ، هم الذين قاموا بتلك الدعاية ، وأعانهم عليها الوهابيون انفسهم بتكفيرهم الناس ، واستحلال قتالهم ، وأن الدولة العثمانية عملت على تقوية الدعاية لئلا يستيقظ عرب الجزيرة ، وينالوا من سلطان الترك .

تكفير المسلمين

وسيرى القارىء ، بعد أن يقرأ في هذه الرسالة سيرة محمد بن عبدالوهاب ويعرف ما دعا إليه ، أن الرجل لم يأت ببدعة ولا أحدث في الإسلام حدثا ، ولم يدع إلا إلى التوحيد الصحيح وإلى الإسلام الحق ، فالدعوة ذاتها لا غبار عليها ، وليس فيها ما يعاب ، إنما يعاب الأسلوب الذي اتبعه فيها ، ذلك أنه رأى ما يصنع بعض الناس عند القبور من مظاهر الشرك ، فاعتبرهم مشركين ، ثم عمم الحكم على كل بلد فيه هذه القباب ، وهذه القبور ، أي أنه حكم بردة المسلمين

جميعاً ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، بل لقد استحل ذلك فعلاً . ومن قرأ ما كتب في ترجمته ، ولا سيما كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) لابن بشر وهو المنبع الذي أخذ منه كل من كتب في ترجمة الشيخ ، من قرأ هذا الكتاب وجد في كل صفحة منه أنهم يشبهون هذه الدعوة بالإسلام أول ما ظهر وصاحبها بالرسول ، وجماعته بالمسلمين ، ومن عداهم بالمشركين الأولين ، ويستعملون ألفاظ السيرة ذاتها : الهجرة والمهاجرين ، والأنصار ، والغزوة ، والسرية وأمثالها .

مع أن الشيخ كان يقول دائماً أنه حنبلي ، والحكم في المذهب الحنبلي أن المسلم إذا ارتد يستتاب ، ويعرض عليه الرجوع ثلاثاً ، فإن لم يعد وكان عاقلاً بالغاً يقتل ، وإن قال أنا مسلم أو تشهد أخذ بظاهر حاله وترك .

هذا هو الحكم في المذهب الحنبلي .

فهل دعا الشيخ كل واحد من القوم الذين حاربهم واستتابه من عبادة القبور (إن صح أنه كان يعبدها) وأمهله ؟ ولم لم يأخذ بظاهر أحوالهم وكلهم يقول : انا مسلم ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟

هذه الرسالة

وبعد فإني لو ألفت هذه الرساله قبل أربعين سنة لشنع عليّ أهل دمشق ، وما تركوني أمشي في الطريق ، ولو ألفتها قبل عشرين سنة ،

لا كبر ذلك أهل نجد ، وملؤوا يدي بالمال . ولكني ألفتها اليوم ، وقد فترت حماسة الوهابيين في الدعوة لها والحرص على نشرها ، وفترت حماسة خصومهم في حربها ، ولم يبق عند الفريقين إلا بقية يتمسكون بها حفظاً للمظاهر فقط وأنا أسارع فأعلن أني لم آخذ عليها إلا بدل حق التأليف الذي آخذ مثله على مثلها من مؤلفاتي. وقد اشترطت على الناشر أن يدعني أكتب ما أعتقد ، وألا ألتزم الدعاية للوهابية ولا (الدعاية ضدها) بل أقول الصدق ، وحيثما انتهى بي الصدق وقفت .

وأنا أعلم أن من القراء من سيقول أني وهابي وأني أخذت أموالاً من السعوديين :

أما قضية الأموال فليس فيها إلا ما ذكرت ، ولم يعد السعوديون يهتمون بأمثال هذه الرسالة ، وقد بلغني أن الأستاذ مسعوداً الندوي رحمه الله وقد كان من أعلام المسلمين في القارة الهندية ، ألف رسالة في تبرئة محمد بن عبدالوهاب مما نسب إليه وأرسلها إلى القوم ، فما وجدت في نجد ولا في الحجاز من يهتم بطبعها .

هذه مسألة الأموال ، فمن قال أني قبضت مالاً ، فالله يعلم أنه يكذب وأنا أشكوه إلى الله وهو حسيبه .

وأما مسأله تهمتي بالوهابية ، فقد أحببت أن أبت فيها بنفسي قبل أن يخوض فيها الناس .

هل أنا وهابي ؟

لست أدري ، فدعوني أمتحن نفسي .

أنا وابن تيمية

لقد نشأت في موجة (الحملة على الوهابية) ، وكنت أنفر من سماع اسم ابن تيمية (وهو الاستاذ الأكبر لابن عبدالوهاب) ثم سافرت إلى مصر سنة ١٩٢٧ فكنت عند خالي الأستاذ محب الدين الخطيب ، فأثر بي هو وجماعة المطبعة السلفية حتى صرت أتعصب لابن تيمية بمقدار ما كنت أتعصب عليه ، ثم عرفت الأستاذ الكوثري(١) ، ولزمته حيناً في دمشق (وذلك سنة ١٩٣٠) فانقلبت على ابن تيمية مرة أخرى ، ثم صحبت الأستاذ الشيخ بهجة فعدت إليه ، ثم ذهب ذلك كله مع الشباب الذاهب وفترت عصبيتي له ، وعصبيتي عليه ، وغدوت أنظر في ترجمته بأعصاب هادئة ، وفكر حيادي ، فأرى ما له وما عليه ، فمما أراه عليه ، ميله إلى التشبيه في آيات الصفات ، عفواً ، بل التشبيه الذي يفهم من عباراته وإن لم أجزم بأنه كان مشبهاً أو أراد التشبيه ، ومما أراه عليه ، أنه يشغل الناس أحياناً بأمور لا تستحق هذا الاهتمام كله ، كمسألة الزيارة ، وأنا أقرأ حديث (لا تشد الرحال ..) فلا أفهم منه المنع من السفر للزيارة ، إنما أفهم منه المنع من الرحلة للصلاة فقط في غير هذه المساجد ، لأن لها وحدها ميزة ، وباقي المساجد سواء ، ولا يفهم منه المنع من شد الرحال

---

(١) كان آية في العلم وكان مفرداً في علم الرجال ليس له نظير في عصرنا ولكنه كان صاحب عصبية للحنفية والعصبية تبعد صاحبها أحياناً عن جادة الحق

إطلاقاً إلا للصلاة في هذه المساجد ، بدليل جواز السفر وشد الرحال للتجارة والسياحة في الأرض ولطلب العلم ولكل قصد غير محرم. فكيف يجوز أن أسافر إلى المدينة لرؤية آثارها ولا أسافر لزيارة الرسول ﷺ ؟ وكيف يجوز لي أن أسافر لأزور قبر صديق في دوما مثلاً أو في حمص وأسافر لزيارة كل قبر ما دامت زيارة الأموات مشروعة إلا قبر الرسول ﷺ ؟

هذا غلو وتزّيد .

هذا مع الاقرار بأن ابن تيمية أحد العشرة الكبار في تاريخنا العلمي .

وبعد فإني أسأل مرة ثانية هل أنا وهابي ؟

لست أدري فدعوني أنظر في موقفي من المسائل التي يعدها الناس في الشام من مسائل الوهابية .

مسألة آيات الصفات

أما مسألة آيات الصفات التي يكثر القوم الكلام فيها من لدن ابن تيمية وابن القيم إلى اليوم ، ويردون على المعتزلة والجهمية ومن لست أدري من الطوائف التي انقرضت ، فأنا أرى البحث فيها في غير طائل وكيف أعرف هل علمه تعالى صفة قائمة به أو صفة قائمة بذاتها وأنا لا أعرف هل (علمي) أنا صفة قائمة بي ، أو هو (شيء) مستقل عني ، وإذا فكرت في ذلك أوشكت أن أفقد عقلي قبل أن أصل إلى نتيجة ، مع أن المسألة متعلقة بي ؟

وأنا أرى أن الشبهة التي أثارها المعتزلة ، وأوصلتهم إلى القول بخلق القرآن ، ودفعت خصومهم إلى إنكار أنه مخلوق ، شبهة واهية من الأساس .

أما الآيات المتشابهة ، كآيات اليد والاستواء وغيرها ، فأنا فيها على طريقة السلف ، الذين لم يكونوا يبحثون فيها أبداً ، لا تأويلاً ولا تعطيلاً ولا تشبيهاً ولا تجسيماً . والله لم يكلفني فهم حقيقتها ، ولكني أجد مع ذلك أن التأويل الذي ذهب إليه المتأخرون لا بدّ منه في كثير من الأحوال التي تعرض للداعية والمناظر ، والتأويل وحمل هذه الآيات على المجاز من سنن العرب في كلامها ، ومن قال بأن اليد لا تكون إلا حقيقية في مثل قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) ردّ عليه الواقع في الآيات الأخرى كآية (بين يدي رحمته) و (بين يدي عذاب شديد) و (لا يأتيه الباطل من بين يديه) ولا يقول أحد في الدنيا ، بأن للرحمة أو أن للعذاب أو للقرآن يدين حقيقيتين .

وردّ عليه وجوب التأويل في مثل قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) (يخادعون الله وهو خادعهم) ولا يقول أحد في الدنيا بأن لله مكراً حقيقياً أو خداعاً حقيقياً .

وقد كتبت في هذه المسألة آلاف الصفحات ، ولست أعرف كلاماً فيها أعظم مما قاله الغزالي في رسالته (فيصل التفرقة) وهي مطبوعة فليرجع إليها .

مسألة التوسل

وأما التوسل بالأموات فهو عندي على درجات

منها ما هو خلاف الأولى ولا يحكم على صاحبه بكفر ولا فسق ، كمن يقول « اللهم إني أسألك بجاه فلان» . وأقصى مايقال فيه ، أنه جاء بقضية ليس بين أجزائها ارتباط منطقي، لأن كون فلان هذا له جاه عند الله، أي أن له صلاحاً وتقوى ، لا يقتضي منه لا شرعاً ولا عقلاً ، أن يستفيد هذا السائل من صلاحه وتقواه ، لأن كل انسان ينتفع بعمله ولا ينتفع أحد بعمل الآخر إلا إذا أراد له صاحب العمل النفع به .

ومنه ما كرهه ابو حنيفة كما في كتب المذهب ، وهو أن يقول السائل اللهم أني اسألك بحق فلان ، لانه لاحق لمخلوق على الله.

وأنا أرى أن هذا ايضاً كالاول ، لانه ورد في السنة مثله وهو حديث الأعمى .

وكله خلاف المطلوب شرعاً ، لأن الأصل دعاء الله بلا واسطة .

بقي الطلب من الميت رأساً ، وسؤاله مالا يقدر عليه الا الله ، كمن قال (يارسول الله اشف مريضي) و (يا جيلاني أردد لي ضالتي)وهذا ظاهره الكفر ، وقائله يستتاب منه ، فان لم يتب ؛ وأصرّ عليه ؛ ودل حاله على أنه يعتقد أن الرسول ﷺ يملك الشفاء ، والجيلاني يستطيع رد الضالة ، كان مرتدا ، لان الاصل في التوحيد اعتقاد أنه ليس في الكون وجود ولا عدم ، ولا نفع ولا ضرر، ولا أمر شرعي ولا نهي، إلا بفعل الله ؛ ولكن الله جعل لهذا الكون سنناً و(قوانين طبيعية) وأسبابا

فمن طلب من غير الله في حدود الاسباب لم يكن طلبه مخالفاً للتوحيد لأن السبب من فعل الله ، فنحن بذلك نطلب الشفاء بالدواء ، والشبع بالطعام ، والريّ بالماء ، والجنة بالايمان والصالحات . ولقد أخطأ الغزالي اذ نفى الاسباب ، وقال إنما هي حوادث تتعاقب ، وربما أراد الله فلم يشبع الطعام ولم تحرق النار ، والحق ماقاله ابن القيم من أن الاسباب لاتنكر ، لكن الدعاء سبب من الاسباب ، بل هو اقوى الاسباب ، فاذا وقف فعل الاسباب الظاهرة بالدعاء ، لايكون ذلك ابطالا للسبب بل تعطيلاً له مؤقتاً بسبب أقوى منه ، كما يعطل الماء سبب الاحراق في النار إن لازمها واقترن بها ، ولما ألقي ابراهيم في النار ، لم ينزع الله من النار طبيعة الاحراق ، ولم يبطل كونها سبباً له ، بل بدل النار نفسها فجعلها عليه برداً وسلاما .

والميت على هذا الاساس ، لايستطيع أن ينفع الحي بتقديم سبب النفع المادي ، ولا بتقديم سببه المعنوي الذي هو الدعاء ، لأن الدعاء من فعل الأحياء ، فانتفت بذلك قدرته على نفع الحيّ إطلاقاً .

الكتاب والسنة :

وأصل الأصول في العقائد ، أن الأمور المشاهدة مرجعها الحسّ ، فما اثبته الحسّ فهو واقع ، ومن انكره لم يكن عاقلا . والأمور المغيبة مرجعها خبر الصادق فما أخبر به الله ، أو وردت به السنة الثابتة التي تفيد العلم فهو واقع ، ومن انكره لم يكن مسلماً .

والكتاب والسنة سواء في أصل الواقع في الدلالة الشرعية ، أي ان من سمع الآية من الرسول ﷺ ذاته ، وسمع منه الحديث ، لم يسعه أن يفرق بينهما في قوة الدلالة ، انما جاء التفريق (بالنسبة الينا) لان الآيات نقلت بالفاظها وحروفها نقلا متواتراً لاشك فيه ، والاحاديث اكثرها نقله آحاد عن آحاد .

ولقد عمل المحدثون في تحقيق طرق نقل الاحاديث (أي في اسنادها) مالا يمكن أكثر منه ، وبذلوا في ذلك أقصى طاقة البشر ؛ فالحكم على اسانيد الاحاديث قد انتهى الأمر فيه . أما المتن ، فالأصل فيه أن كل صحيح السند صحيح المتن ، إلا ما كان فيه علة في متنه ، ومن العلل مخالفة الحديث للقرآن كحديث خلق العالم في سبعة ايام (وهو في الصحيح) أو مخالفته للواقع المشاهد كحديث الحبة السوداء ، وحديث ال (سبع تمرات والسم) فهذه الأحاديث وأمثالها صحيحة السند ، لكنها معلولة المتن .

حياة الرسول في قبره

أما حياة الرسول ﷺ ، فالرسول بالنسبة الى مقاييس الحياة البشرية الدنيوية ميت ، والولد الصغير يعرف من السيرة أنه ولد عام الفيل ومات بعد الهجرة باحدى عشرة سنة . وأن أبا بكر خطب فقال « من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » .

واذا كان الحي هو الذي يتنفس ويتحرك ويأكل ويشرب فكيف يستطيع عاقل أن يقول انه حي بهذا المعنى في قبره ؟

فما القول اذن ؟

القول الحق ، أن تعرف أن حياة الانسان لها اربعة مراحل ، كل مرحلة بالنسبة لما بعدها ، كالتي قبلها منها : حياته وهو جنين في بطن أمه وحياته في هذه الدنيا ، وحياته في البرزخ ، وحياته في الآخرة .

والجنين في بطن أمه لو أمكن أن يكلم وتوصف له هذه الدنيا ، لما استطاع تصورها ، لان الدنيا عنده هي هذه الاغشية وهذه الظلمة التي تحيط به ، كذلك الواحد منا في هذه الدنيا لايستطيع تصور الحياة الاخرى ، مع أنها أوسع من هذه الدنيا وأعجب ، بمقدار ماالدنيا اوسع وأعجب من بطن المرأة الذي فيه الجنين ، والجنين اذا ولد يطرح المشيمة عنه ، ولا تكون منه ، كذلك يطرح الميت جسده ولا يراه منه ، فما في التراب الا هذا الجسد ، هذا الثوب الذي نزع ، أما الانسان ففي عالم آخر .

ولذلك وصف الله الشهداء ، بانهم أحياء (عند ربهم) ، أي ليسوا أحياء عندكم ، وقال لنا (ولكن لاتشعرون) بهذه الحياة .

والرسول ﷺ حيٌّ عند ربه، في عالم أوسع وأسمى وأجمل، وما في القبر الا جسده الشريف الذي لبسه مدة هذه الحياة ، ثم خرج منه ، ولا نعرف شيئاً عن هذه الحياة .

وحبه ﷺ فرض على المسلم ، ولكن هذا الحب ليس كما يفهم من ينشد هذه الاناشيد التي فيها ذكر العشق والوصال وذلك الكلام الفارغ، لا ، ولكن حب الطاعة والامتثال ، وتقديم مايحبه الرسول ﷺ منا على شهوات نفوسنا ونزعات أهوائنا .

الكرامات

أما الكرامات فقد قال محمد الخضر الحسين شيخ الازهر السابق (١)

(أما الكرامات فقد ذهب أهل السنة الى جوازها ، بل اثباتها . ولكن الناس بالغوا أو أكثروا من نسبتها الى الشيوخ الصوفية . ولعل هذه المبالغة والإكثار كانا سبب اثارة البحث عنها حوال آخر القرن الرابع . فنرى أبا إسحاق الاسفرايني يجعل للكرامة حداً ، فيقول :

غاية الكرامة إجابة دعوة، أو شربة ماء في مفازة، أو كسرة في منقطعة. ونرى أبا القاسم القشيري يقول :

الكرامة لا تصل الى وجود ولد من غير اب ، ولا الى قلب جماد حيواناً . واذا تحدث الناس بكرامات لبعض الشيوخ لم يقع مثلها من الصحابة أو السلف الذين هم خير القرون لم تقبل لمجرد تناقل الالسنة لها.

قيل لابي حيان: ماذا تقول في الشيخ ابي مدين ؟

---

(١) في كتابه رسائل الإصلاح ص ١٣

قال : هو رجل دين ، وما يطير في الهواء ، ولا يصلي الصلوات الخمس في مكة كما يدعي بعض الناس) .

وقال : في البزازية (١)

وقد ذكر علماؤنا أن ماهو من المعجزات الكبار كإحياء الموتى وقلب العصا حية ، واشباع الجمع من الطعام القليل وخروج الماء من بين الاصابع لايمكن اجراؤه كرامة لولي ، ومنه طيُّ المسافة لقوله ﷺ « زويت لي الأرض » فلو جاز لغيره لم يبق فائدة للتخصيص .

وفي المنظومة الوهبانية (٢) .

ومن لوليّ قال: « طيّ مسافة يجوز » جهول ثم بعض يكفر

وابواسحاق الاسفراييني هو الاصولي الفقيه المشهور ، والسيد الخضر ينقل كلمته كما بين في الحاشية عن العواصم من القواصم للامام أبي بكر بن العربي (١) ، والقشيري هو الصوفي المشهور ، صاحب (الرسالة القشيرية) التي تعد عند أهل التصوف مثل كتاب سيبويه عند أهل النحو .

ويتبين من كلمته أن ما شاع على الألسنة من قولهم (كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) غير صحيح عند أبي القاسم القشيري . وهو ليس بصحيح في الواقع .

---

(١) وهي من كتب الحنفية الموثوق بها

(٢) وهي معتبرة عند الحنفية

(٣) هذا ابن العربي اما ذاك (أي الشيخ محي الدين) فيعرف بابن عربي

والذي أعتقده أن وقوع الكرامة ممكن واعتقاد ذلك واجب ، لأن في القرآن ما يشير إليه ، كقصة زكريا ومريم (كلما دخل عليها زكريا المحراب) وقصة (الذي عنده علم من الكتاب) . فمن أنكر إمكان وقوعها كفر أما الكرامات المعينة التي تنسب إلى أشخاص معينين ، فأخبار تحتمل الصدق والكذب ، والأصل فيها العدم ، فعلى (مدّعيها) الاثبات ، لأنه يدعي خلاف الأصل ، ومن صدق بها لا شيء عليه ، ومن كذب بها لا شيء عليه .

ونحن نرى الميل إلى الاستكثار من الخوارق يزداد ، كلما توالت القرون وازداد المسلمون ضعفاً ، لا أعني الكرامات فقط ، بل المعجزات ، فإن الذي يروى من معجزاته ﷺ في سيرة ابن هشام لا يبلغ عشر ما يروى في السيرة الحلبية وأمثالها ، مع سبق تلك وتأخر هذه .

الأولياء

ثم إن كلمة (الولي) لها معنيان :

معنى قرآني

ومعنى عامي

أما المعنى القرآني : فهو ان الولاية تدل على معنى النصرة والتأييد ، والناس بهذا المعنى قسمان : أولياء الله ، وأولياء الشيطان . (الله ولي الذين

آمنوا) (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) . والولي هو كل مؤمن تقي (ألا أن أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون)

أما المعنى العامي ، فهو أن الولي هو الذي يأتي بالخوارق ، و (يقرأ الأفكار) ، وربما كان مجانباً للتقوى ، كما هي الحال فيمن يترجم لهم الشعراني في طبقاته ، فإنه ينسب لبعض من يسميهم أولياء ، ويترضى عنهم ، ارتكاب المحرمات ، وكشف العورات ، وترك الصلوات ، وفعل الفاحشة بالحيوانات ، وغير ذلك مما هو موجود في كتاب الطبقات المطبوع ، والكرامات بهذا المعنى ، كأنها (ترجمة) لكلمة العجائب التي ينسبها النصارى لقديسيهم .

وقد بين السيد الخضر في رسائل الإصلاح صفحة ٥ وما يليها (أن ما كان عليه جماعة الصوفية من الانقطاع إلى العبادة وحدها ، والاعراض عن الدنيا جملة ، عند اليونان والبوذيين والفرس والنصارى مثله وأن فريقاً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا وقرروا فيما بينهم أن يواصلوا الصيام ، ويعكفوا على العبادة ، ولا يقربوا النساء والطيب . وأن يرفضوا الدنيا ، ويسيحوا في الأرض . فبلغ رسول الله ﷺ أمرهم فنهاهم في خطبة جامعة ، وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) .

والذي أعتقده في مسألة الصوفية ، أن لموضوع التصوف أصلاً أصيلاً في الدين ، لأن الدين ما جاء لأعمال الجوارح فقط ، بل للنيات والمقاصد والقلوب ، ومن صلى الصلاة الكاملة في قيامها وقعودها ، وركوعها وسجودها ، ولم تكن نيته بها وجه الله ، بل الرياء والخداع ، لم يكن لها عند الله وزن . فإن كان المراد من التصوف هو تصحيح النيات ، ومداواة أمراض القلب ، وإصلاح السرائر ، كان لبّ الدين بشرط الوقوف فيه عند حدود الكتاب والثابت من السنة ، كما كانت الحال في القرن الأول والثاني ، ثم أحدث (التصوف) المعروف وصارت له رسوم خاصة واصطلاحات فاختلط فيه الصحيح بالفاسد ، والحسن بالسيء ، فما كان من (وحدة الوجود) و (مسألة الاقطاب والأوتاد) و (دعوى التصرّف في الكون) ودعوى أن للدين ظاهراً وباطناً ، فالظاهر هو الشرع والباطن هو الوساوس والخطرات التي تعرض لأصحاب الرياضات ، وتفسير القرآن بها تفسيراً لا يؤيده أثر ولا تحتمله اللغة ، وأمثال ذلك فهو مردود ، وليس من الإسلام .

أما الكلام في أشخاص بأعيانهم كمحي الدين بن عربي وابن الفارض والشعراني وعبد الغني النابلسي ، فأنا لا أحكم على الأشخاص بكفر ولا إيمان ، لأني لا أعرف ما ختم الله لهم به ، والله لم يكلفني البحث عنهم ، والحكم

عليهم ، ولست مع من يكفرهم ولا مع من يجعلهم أئمة في الدين ولكن أقول ، إن في الكتب المأثورة عنهم المنسوبة إليهم كفراً صريحاً ، بل إن ما فيها شر أنواع الكفر وأخبثه على الاطلاق ، فمن كان يقول به ويعتقده كان كافراً .

البدع

وأما البدع فإن من قال بأن فيها الحسن والسيء ، أخذ الكلمة بمعناها اللغوي ، وأدخل فيها كل ما جد بعد رسول الله ﷺ ، ومما جد جمع القرآن ، والاجتماع على التراويح ، وتدوين العلوم (١) .

ولا خلاف في أن العبادات لا يجوز فيها الابتداع ، ومن اعتقد أن الجهر بالصلاة على الرسول بعد الأذان أكمل وأرضى لله ، من الإسرار بها والوقوف في الأذان عند (لا إله إلا الله) يكون قد نسب النقص إلى الرسول ﷺ. ولا خلاف في أن جمع القرآن وأمثاله من الأمور المشروعة .

ومن قال بأنها سيئة كلها فقد أخذها بمعنى البدعة في العبادات الخالصة (٢) .

---

(١) الدر والحاشية ج ١ ص ٣٧٦ وما فيها منقول عن العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام) ص ١٩٥ طبع مصر سنة ١٩٣٤

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي والإبداع للشيخ علي محفوظ الذي كان يدرس رسمياً في الأزهر .

فالخلاف إذن بين هؤلاء وأولئك خلاف لفظي .

وأنا مع من ينكر البدع في العباذات كلها (١) ، ولكني لا أكفر من فعلها ، ولا أستحل قتاله ، بل أعظه وأبين له .

حلقات الذكر

أما هذا الذي يسمونه ذكراً ، ويستحلون فيه السماع والرقص ، فانا فيه على مذهب الحنفية ، وقد قرر ابن عابدين في الحاشية حرمته ، وروي أن من استحله يكفر .

قال ابن عابدين في الحاشية ما نصّه :

المراد به التمايل والخفض والرفع بحركات موزونة كما يفعله بعض من ينتسب إلى التصوف في زماننا ، وقد نقل في البزازية اجماع الأئمة على حرمة هذا الغناء وضرب القضيب والرقص ، قال : ورأيت في فتوى شيخ الإسلام جلال الملة والدين الكرماني ان مستحل هذا الرقص كافر .

ونقل أنه فاسق لا كافر .

---

(١) أما التراويح فليست بدعة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم منع الاجتماع عليها خوف افتراضها فلما زال المانع بعده صلى الله عليه وسلم عاد الممنوع وهو الاجتماع عليها وهي من قيام الليل ولم يحدد الشرع عدد ركعاتها كما حدد ركعات الفرائض فمن صلاها ثماني ركعات فقد أحسن بالاتباع ومن بلغ بها العشرين أو زاد فقد أحسن بالازدياد من الخير

ثم نقل ابن عابدين عن ابن كمال باشا ما خلاصته ان من غلبه الحال، فقام من غير إرادة ولا شعور فلاشيء عليه (١)

وقال السري (السقطي من شيوخ التصوف) : شرط الواجد في غيبته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يحسّ به .

وقال ابن عابدين[٢] :

كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنازة والزحف والتذكير فما ظنك به عند الغناء الذي يسمونه وجداً ومحبة ، فإنه مكروه لا أصل له في الدين وما يفعله متصوفة زماننا حرام، لا يجوز القصد إليه والجلوس مع أهله . ولم يفعله من قبلهم ، وما نقل من أنه ﷺ سمع الشعر لم يدل على إباحة الغناء ، وحديث تواجده عليه الصلاة والسلام لم يصح . وكان النصر ابازي يسمع (أي ما يسمى اليوم الأناشيد النبوية والصوفية) فعوتب ، فقال : إنه خير من الغيبة .

فقيل له : هيهات بل السماع شر من اغتياب الناس سنوات .

مسائل الوهابية في كتب الحنفية :

وأكثر المسائل التي يعتبرها الناس من (الوهابية) ويسمون من من يقول بها (وهابياً) موجودة في كتب الحنفية

---

(١) الحاشية ، الجزء الثالث ، آخر (باب المرتد) والفتاوى الهندية ٥:٣١٧

(٢) الحاشية الجزء الخامس (كتاب الحظر والإباحة)

فمن ذلك أنهم نصوا على أن الأذان ينتهي بـ (لا إله إلا الله) . قال في المبسوط(١-١٢٩) : والثابت ، أن آخر الأذان(لا إله إلا الله)وعلى قول أهل المدينة (لا إله إلا الله والله أكبر) ويروون فيه حديثاً ولكنه شاذ لأنه مما تعم به البلوى (أي أنه أمر مشهور مشاهد فلو كان واقعاً لرويت فيه أحاديث كثيرة) والاعتماد في مثله على المشهور وهو حديث عبدالله بن زيد على ما توارثه الناس إلى يومنا هذا (أي بانتهاء الأذان عند (لا إله إلا الله) .

وقال في الهندية (١-٥٥) ، الأذان عندنا خمس عشرة كلمة وآخره (لا إله إلا الله) ، كذا في فتاوى قاضيخان . وهي :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، هكذا في الزاهدي .

رفع الصوت بالذكر

ونص الحنفية على أن رفع الصوت بالذكر حرام ، وقد صح عن

ابن مسعود أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يهللون ويصلون على الرسول جهراً ، فغدا عليهم فقال :

ما عهدنا هذا على عهده ﷺ وما أراكم إلا مبتدعين .
وما زال يكرر ذلك حتى أخرجهم من المسجد .

ويجوز رفع الصوت بالذكر في مثل الأذان والخطبة والحج وأمثالها لأن الجهر بها ليس بدعة . وتتمة المسألة في البزازية (١)

حلقات الذكر !

وسئل الحلواني عمن سموا أنفسهم صوفيـة ، فاختصوا بلبس معين واشتغلوا باللهو والرقص وادعوا لأنفسهم مـنزلة قال : افتروا على الله كذباً . وأفتى بأنهم ينفون من البلاد .

وقال في السماع والقول (النشيد) والرقص الذي يفعله المتصوفة : حرام لا يجوز القصد إليه والجلوس عنده ، الخ . (٢) .

وفي الدر ، هل يكره رفع الصوت بالذكر والدعاء ؟ قيل : نعم .

قال ابن عابدين وقوله : (قيل نعم) يشعر بضعفه مع أنه هو الذي

---

(١) هامش الهندية ٦ــ٣٧٩ ومثله في الدر المختار (هامش الحاشية ١: ٤٤٤)
(٢) هندية ٥ ـ ٣٥٢

مشى عليه في المختار والملتقى، فقال وعن النبي ﷺ أنه كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنازة والتذكير، فما ظنك عند الغناء الذي يسمونه وجداً ومحبة، فإنه مكروه لا أصل له في الدين (١).

الدعاء على المنبر

وأن دعاء المذكر على المنبر والقوم يدعون معه إن كان لتعليمهم لا بأس به، وإن لم يكن لتعليمهم فهو مكروه (٢).

وأن التكبير (في غير أيام التشريق) بعد الصلاة يكره وهو بدعة وكذا بعد الورد (٣).

رفع الصوت عند القراءة

وأن رفع الصوت عند سماع القرآن والوعظ مكروه وما يفعله الذين يدعون الوجد والمحبة لا أصل له ويمنع الصوفية من رفع الصوت (٤).

قالوا، ويكره الصعق عند القراءة لأنه من الرياء وهو من الشيطان

---

(١) حاشية ٥ــ ٢٥٥

(٢) هندية ٥ ــ ٣١٨

(٣) هندية ٦ ــ ٣١٨

(٤) الفتاوى الهندية ٥ ــ ٣١٩

وقد شدد الصحابة والتابعون والسلف في المنع من الصعق والزعق والصياح عند القراءة كذا في القنية (١).

قراءة القرآن بالألحان

وقراءة القرآن والأذان بألحان الغناء ممنوعة.

قال أكثر المشايخ: إن ذلك يكره ولا يحل، لأن فيه تشبهاً بفعل الفسقة حال فسقهم وكذا كره هذا النوع في الأذان ولا خلاف في أن اللحن حرام. (٢)

وفي البزازية أيضاً، قراءة القرآن بالألحان (أي ألحان الغناء كما يقرأ اليوم) معصية والتالي والسامع آثمان (٣) ومن سمع هذه القراءة فقال للقارىء «احسنت» يخشى عليه الكفر (٤)

بدع القراءة

وتعداد القراءات في الآية الواحدة مكروه (٥) وهو ما يفعله قراء هذه الايام.

---

(١) الهندية ٥ ـ ٣١٧

(٢) البزازية وتتمة المسألة فيها (هامش الهندية ٦ ـ ٣٥٣) ومثله في الهندية (٥ ـ ٣١٧) نقلاً عن الوجيز، وفي الهندية (١ ـ ٥٦) نقلاً عن السراجية.

(٣) هامش الهندية ٦ ـ ٣٧٩

(٤) الدر، هامش الحاشية ٥ ـ ٢٧١

(٥) الدر هامش الحاشية ٥ ـ ٢٧١

ولا تجوز قراءة القرآن طمعاً في الدنيا (١) .

والتبليغ عند عدم الحاجة اليه بأن بلغهم صوت الإمام مكروه واتفق الأئمة الأربعة على أن التبليغ حينئذ بدعة منكرة (٢) .

التبليغ

قال في الدر المختار : وبه علم جواز رفع المؤذنين أصواتهم في جمعة وغيرها ، يعني أصل الرفع ، أما ماتعارفوه في زماننا فلا يبعد أنه مفسد للصلاة اذ الصياح ملحق بالكلام . (٣)

ترقية الخطيب يوم الجمعة

والترقية المتعارفة في زماننا تكره عنده لا عندهما، وأما ما يفعله المؤذنون من الترضي عن الصحابة والدعاء للسلطان عند ذكره بأصوات مرتفعة فمكروه اتفاقاً . (٤)

قال ابن عابدين : ومنه ماهو معتاد عندنا أيضاً من الصلاة على النبي ﷺ عند صعود الخطيب مع تمطيط الحروف والتنغيم . (٥)

---

(١) حاشية ١ــ٤٩٢ ، هندية ٥ــ٣٦٦

(٢) الحاشية ١ــ٣٢٠

(٣) الدر على هامش الحاشية ١ــ٣٩٦

(٤) الدر على هامش الحاشية ١ــ٥٥١

(٥) حاشية ١ــ٥٥٢

قاعدة جليلة

وقال : وكون ذلك متعارفاً لايقتضي جوازه ولا عبرة بالعرف الحادث اذا خالف النص لان المتعارف إنما يصلح دليلا على الحل اذا كان عاماً من عهد الصحابة والمجتهدين . (١)

الدعاء للسلطان

والدعاء للسلطان في الخطبة لم يكن وجوزه القهستاني ويكره تحريماً وصفه بما ليس فيه . (٢)

قال المحشي ابن عابدين : ومراد القهستاني الجواز لا الندب لانه حكم شرعي لابد له من دليل ، وهو محدث وانما كانت الخطبة تذكيراً .

تكرار الجماعة

وقرروا أن تكرار الجماعة في مسجد له إمام راتب مكروه .

وقال ابن عابدين ، وذلك لما روى عبد الرحمن أبي بكر عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج من بيته ليصلح بين الانصار فرجع وقد صلى بالمسجد بجماعة ، فدخل منزل بعض أهله فصلى بهم جماعة فلو لم

---

(١) حاشية ١ : ٥٥١

(٢) الدر على هامش الحاشية ١ ـ ٥٤٤

يكره تكرار الجماعة في المسجد لصلى فيه ، وروى عن أنس أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا اذا فاتتهم الجماعة في المسجد صلوا في المسجد فرادى ، ولأن التكرار يؤدي الى تقليل الجماعة لان الناس إذا علموا أنها تفوتهم الجماعة تعجلوا فكثروا وإلا تأخروا (١) .

صلاة العيد

قال في الدر : السنة صلاة العيد في الجبانة أي المصلى العام ولو كان المسجد يسعهم .

قال ابن عابدين : وقال بعضهم ليس بسنة وانما تعارف الناس ذلك لضيق المسجد وكثرة الزحام ، والصحيح الأول (أي أنه سنة ولو لم يضق المسجد) (٢) .

بدع المآتم

وأنها تكره صلاة الجنازة في المسجد ويكره رفع الصوت في الجنازة (٣) قال ابن عابدين : وفي البزازية ، ويكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول

---

(١) المسألة مفصلة في الحاشية ١ــ٢٦٥ و ١ــ٣٧١
(٢) الحاشية ١ــ٥٥٧
(٣) بزازية على هامش الهندية ٤ــ٧٩ و ٤ــ٨٠ وحاشية ١ــ٥٩٣

والثالث وبعد أسبوع ونقل الطعام إلى القبر في المواسم واتخاد الدعوة لقراءة القرآن وجمع الصلحاء والقراء للختم أو لقراءة سورة الانعام، والحاصل أن اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن يكره.

ثم قال: ولا سيما إن كان في الورثة صغير أو غائب مع قطع النظر عما يحصل عند ذلك غالباً من المنكرات الكثيرة كايقاد الشموع والقناديل التي لا توجد في الأفراح وكدق الطبول والغناء بالأصوات الحسان واجتماع النساء والمردان وأخذ الأجرة على الذكر وقراءة القرآن وغير ذلك مما هو مشاهد في هذه الأزمان، وما كان كذلك فلا شك في حرمته وبطلان الوصية به (١).

الجلوس لتلقي التعزية مكروه (٢).

الوصية بالختمات والتهاليل

وقرروا بطلان الوصية بالختمات والتهاليل.

قال ابن عابدين، أما وصايا أهل زماننا فإن الواحد منهم يكون في ذمته صلوات كثيرة وغيرها من زكاة وأضاحٍ وأيْمان فيوصي لذلك بدراهم يسيرة ويجعل معظم وصيته لقراءة الختمات والتهاليل التي نص

---

(١) حاشية ١ - ٦٠٣

(٢) حاشية ١ - ٦٠٤

علماؤنا على عدم صحة الوصية بها وأن القراءة لشيء من أمور الدنيا لا تجوز وأن من يأخذ الأجرة على القراءة ومن يعطيها آثمان والأجرة على قراءة القرآن لا تجوز (١) . ولابن عابدين رحمه الله رسالة مستقلة في هذا الموضوع .

القبور

وقرروا كراهية الصلاة إلى القبر (٢) .

والقبر لا يجصص ولا يبنى عليه ولا يرفع أكثر من شبر ولا يجوز عنده إلا ما عهد من السنة وهو الزيارة والدعاء قائماً ، ويكره أن يبنى عليه مسجد أو غيره (٣) .

وإذا أراد زائر القبور الدعاء استقبل القبلة .

قراءة القرآن في المقابر جهراً تكره (٤) .

وزائر قبره ﷺ يقف عند رأسه مستقبل القبلة ويدنو ثلاثة أذرع أو أربعة لا يدنو أكثر من ذلك ولا يضع يده على جدار التربة ثم يقول: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك رسول الله

---

(١) الحاشية ١-٤٩٢

(٢) هندية ٥-٣٢٠

(٣) هندية ٥-١٦٦ ومثله في الدر وفي الحاشية ١-٦٠١

(٤) هندية ٥-٣٥٠

قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، وجاهدت في أمر الله حتى قبض روحك حميداً محموداً ، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء ، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها ، اللهم اسقنا من كأسه وارزقنا من شفاعته (١) .

التوسل

وفي البزازية : ويكره أن يقول في الدعاء بحق فلان وبحق محمد لأنه لا حق لأحد على الله ، ومثله بحرمة محمد (عليه الصلاة والسلام) (٢) .

متفرقات

ومن سب أبا بكر وعمر أو أحدهما يكفر (٣) .

قال في البزازية : إخراج الشموع إلى القبور بدعة وإتلاف مال .

ورمي عش الخفاش والخطاف من المسجد بفراخه إن كان بعذر يجوز (٤) .

---

(١) هندية ١ـ ٢٦٥

(٢) البزازية المطبوعة على هامش الهندية ٦ـ ٣٥١ ومثله في الهندية ٥ـ ٣١٨ ومثله في الحاشية ٥ـ ٢٥٤

(٣) حاشية ٣ـ ٢٩٣

(٤) هامش الهندية ٦ـ ٣٧٢

كتابة القرآن على الحيطان والمحاريب غير مستحسن (١) .

الرسول لا يعلم الغيب

وقرروا أن من جاء بكفر ولو هازلاً كفر ـ (٢) .

وقرروا أن من اعتقد أن الرسول يعلم الغيب الآن يكفر ، وعللوا ذلك بأنه ﷺ ما كان يعلم الغيب في حياته ليعلمه بعد وفاته ـ (٣) .

الذبح

وقرروا أن من ذبح لوجه إنسان في وقت الخلعة والتهاني كان كفراً والمذبوحة ميتة لا تؤكل (٤) .

وفي الدر : ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله عليه وهل يكفر قولان ، عن البزازية وشرح الوهبانية (٥) .

---

(١) البزازية على هامش الهندية ٦ـ٣٧٣

(٢) بزازيةهامش الهندية ٣ـ٥٧٧

(٣) بزازية هامش الفتاوى الهندية المجلد الثالث الصفحة ٥٧٦

(٤) البزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٦

(٥) هامش الحاشية ٥ـ١٩٦

وقرروا أن تعظيم النيروز كما يعظمه الكفرة (١) بأن اشترى فيه شيئاً لم يكن يشتريه في غيره كفر (٢) .

وقرروا ، أن من صدق كاهناً ، أو ادعى أنه يعلم الغيب يكفر (٣).

ومثله العراف وضارب الرمل والمنجم والذي يضرب بالحصا والذي يزعم أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون (٤) .

تعليق المرأة حجاباً أو نحوه ليحبها زوجها حرام (٥) .

الدعوة لترك العصبية :

هذا ، وأنا لم أسرد هذه النصوص على أنها (كلها) من القول المعتمد في المذهب ، أو أن ما فيها هو الحكم القطعي في الإسلام ، فإن فيها ما يقابله قول آخر لعلماء آخرين .

ولكن سردتها لأبين أنه لا يصح أن ينكر المسلم قولاً لمجرد أن

---

(١) ومثله كل عيد للكفار

(٢) البزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٧

(٣) بزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٦

(٤) حاشية ٣ـ٢٩٧

(٥) هندية ٥ـ٣٥٦

القائلين به مخالفون له في المذهب أو المشرب، بل لا يجب عليه أن يتقيد بآراء جماعة معينة، لا يعدل عنها ولو ظهر له خطؤها، وتبين له أن الحق في غيرها.

والحق الذي لا يعدل عنه، هو ما جاء فيه نص صريح من كتاب أو سنة ثابتة الورود قطعية الدلالة، أما ما كان فيه آية ليست نصاً في المسألة وحديث يحتمل وجهاً آخر من وجوه الاجتهاد فلا مانع من تعدد الأقوال فيه.

ومن المسائل ما نجد فيه قولين، قال بكل منهما طائفة من علماء أهل السنة والجماعة، ممن لا مطعن عليه في دينه ولا في علمه، فليس على متبع قول منهما أن يطعن على متبع القول الآخر أو أن يشنع عليه.

فمن كان مشربه سلفياً لا يطعن على من مشربه صوفي، ومن كان مع ابن تيمية لا ينكر على من كان مع السبكي، ما دام الجميع مسلمين مستندين فيما ذهبوا إليه إلى دليل شرعي.

والله لم يجعل الحق كله مع واحد من هؤلاء، والباطل كله مع الآخر وكلهم بشر يخطىء ويصيب وليس فيهم معصوم.

واتهام كل من دعا إلى تصحيح العقيدة، ونبذ البدعة، بأنه وهابي خطأ في نظر الدين، وحماقة في نظر العقل، وقصة قديمة بليت من كثرة الترداد.

وقد تبين من هذه النقول أن كثيراً مما يعد اليوم من مسائل الوهابية قال به الحنفية ، وفي المذاهب الأخرى أمثال هذه النقول ، ومن رجع إلى كتاب (الإبداع في مضار الابتداع) المقرر تدريسه في الجامع الأزهر وجد فيه الأدلة على إبطال الابتداع في العبادات .

الغاية من تأليف هذه الرسالة :

ولقد كتبت هذه الرسالة، لتكون (إن شاء الله) وسيلة إلى السلام والوئام ، لا زيادة في الجدال والخصام وفيها ما يوافق من يسمون بالوهابية ، وفيها ما يوافق المنكرين عليهم ، وما أردت هذا ولا ذاك ، ولكن قلت ما أراني الله أنه الحق ، فوافق هؤلاء مرة وأولئك مرة ، لتعلم كل جماعة أن الحق لم يكن وقفاً عليها ، وأن الميزان هو الكتاب والسنة ، فما وافق قبلناه ، أياً كان القائل به، وما خالف رددناه ، لا نقر باطل موال لولائه، ولا نأبى حق مخالف لخلافه .

وقد كنت أقرأ من أيام كتاب الشيخ جمال الدين القاسمي في (تاريخ الجهمية والمعتزلة) فرأيت فيه من الإنصاف ومن السعي لرفع الخلاف ، مالم أجد مثله لغيره ، فهو ينبّه أولاً إلى أمر مهم، قلما ينتبه إليه الباحثون من العصريين ، وهو (أن على من يؤرخ مذهب قوم ، وعلى من يناقش فرقة في مذهبها أن ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات ويعزو ما ينقله إلى مصدره) ثم يرد على السبكي لأنه يحكم على الجهمية بالابتداع وهو يقر بأنه لا يعرف مذهبهم .

ثم يحكم بين الجهمية وخصومهم فيقول (إن الجهمية قصروا في علوم السمع والنقل ، وهو علم الرواية، فجانبوا كثيراً من الروايات المشهورة المعروفة عند أهلها ، وتمحلوا في ردها أو تأويلها بما لا يرتضيه منصف ففاتهم أصل عظيم من أصول الشرع وهو السنة ، الخ ...

وأما خصومهم فقد أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيراً ، وتواتر لهم ما لم يتواتر لغيرهم، إلا أنهم ظنوا أن العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع ، وحسبوا أن الإصغاء لعلم المعقول يستلزم البدعة ، مع أن العقل السليم لا ينافي السمع الصحيح ، الخ ...) .

انبذوا المتعصبين :

ولو سلكنا جميعاً مسلك القاسمي لما كان بيننا خلاف .

ولكن هذا لمن يصدر عن إخلاص ، ويتكلم عن علم ، لا لأمثال النفر الذين ضاقت بهم سبل العيش في دمشق ولم يجدوا إلا هذه البضاعة التي رثت وبار سوقها فراحوا يستجدون المال من بعض التجار بحجة أنهم يحاربون به الوهابية فيأكلون التسعة منه وينفقون الواحد⁽¹⁾ على طبع هذه الرسائل التي يحملها طابعها مصرورة بـ (المحرمة) ليوزع منها على من يلقاه في الطريق ، والتي بلغ من ضيق الناس بها وكراهيتهم لها ، وبلغ من فسادها وضررها أن أمر سماحة المفتي العام بمصادرة نسخها ، وأعلن هو وجماعة العلماء البراءة من

---

(١) كما قال لي أحد الأساتذة الكبار الموثوق بهم ، ولم أشهد ذلك بعيني

هذا الجاهل الذى يقدم لها والذي سمى نفسه والثلاثة من أصحابه بالمفكرين الأحرار (ليبر بانسور) وهو بالاصطلاح الحديث علم على الملحدين الذين لا يؤمنون بدين .

وفي الجماعة الأخرى كثيرون من أمثال هؤلاء يتعصبون للوهابية بمثل عصبية هؤلاء عليها . منهم الشيخ حامد الفقي المصري وله رسالة اسمها (أثر الدعوة الوهابية) يظهر في كل صفحة منها أنه إنما ألفها تزلفا إلى القوم في نجد واسترضاء لهم ، لا توسلاً إلى الحقيقة يكشفها ويصل اليها.

وهو يصرح فيها(١) بأن ابن تيمية وابن القيم قاما في وقتهما بجهاد ما كان مستولياً على الأمة من الجبت والطاغوت ، فقام عباد هذه الطواغيت يدفعون عن أنفسهم وعن طواغيتهم بكل ما استطاعوا وما زالت الحرب بين حزب الرحمن وحزب الشيطان الخ ..أي أنه يعتقد أن الذين ردوا على ابن تيمية وحاربوه كلهم من حزب الشيطان وعباد الطواغيت ، وهذا كلام أقل مايقال فيه أنه مخالف للواقع ومخالف للاسلام، وأنه لا يقوله إلا جاهل ، أو مفتر متحامل ، لأن فيمن رد على ابن تيمية وحاربه رجالا ، هم بلا جدال من أعلام علماء الإسلام ، لا من عباد الطواغيت ولا من حزب الشيطان .

ومن جهل هذا الرجل (الشيخ حامد) أنه يصف في كتابه (٢)

---

(١) ص ١٧

(٢) ص ٢٢

الخلافة العثمانية بأنها نكبة على الإسلام والمسلمين لانها لم تكن في وقت من أوقاتها تعمل على تدعيم بناء الصرح الإسلامي. مع أنها كانت على عهد الأولين من ملوكها عاملة على إعزاز الإسلام ونصره وتأييده، ولو قرأ سيرة محمد الفاتح التي ألفها الأستاذ سالم الرشيدي (الاندنوسي) لعرف ماذا صنعت هذه الخلافة للاسلام في أول عهدها، فكيف يصح لعاقل أن يقول أنها لم تكن في وقت من الأوقات تعمل لبناء صرح الإسلام.

ولم يكفه هذا، حتى كذب على علمائها كما كذب على ملوكها فقال(١): ان أكثر علمائهم لا يعرفون من الإسلام إلا قشوراً لا خير فيها. مع أنه لو نظر في كتاب الشقائق النعمانية لرأى أن من هؤلاء العلماء من لو كان الفقي عاش عشرة أضعاف عمره يحصل ويدرس لما بلغ درجة واحد منهم ولو تضخم مئة مرة لما كان في العلم مثله والعجب أنه بمقدار ما يبالغ في ذم العثمانيين يبالغ في مدح الملك السعودي، ولو كان من العثمانيين اليوم ملك يعطي عطاء السعوديين لكال له المدح جزافاً.

ان الشيخ حامد وأمثاله من أسباب ثورة الناس على الوهابية وأهلها، وهذا الأسلوب الأرعن يستثير الحليم ويحمل الناس على عداوة صاحبه والإعراض عما يدعو اليه، ولو أن خصوم الوهابية استأجروا الشيخ حامد لينفروا الناس منها لما صنع في التنفير منها أكثر مما صنع.

---

(١) ص ٢٣

ونحن لسنا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء لا مع المتعصبين لما يسمى بـ (الوهابية) ولا مع المتعصبين عليها ، ولكنا أن شاء الله مع الحق . مانريد إلا نصرة الحق وترك الخلاف ، وتوحيد الصف ، والله يعلم المصلح من المفسد ، وهو المستعان .

* * *

تنبيه

الأقوال التي نقلتها من كتب الفقه ، نقلتها بحروفها فإن لم يجدها القارىء في الصفحات التي عينتها ، فليعلم أن ذلك لاختلاف الطبعات ، فليبحث عنها قريباً من الصفحة التي ذكرتها .

هذا ولا آمن وقوع الخطأ المطبعي في بعضها .

النادي الشبابي

علي الطنطاوي

شباب
الناري الشبابي

محمّد بن عبد الوهّاب

٢

أعلام التّاريخ

٧

دار الفكر بدمشق

علي الطنطاوي

محمد بن عبد الوهاب

(٢)

دار الفكر بدمشق

جميع الحقوق محفوظة

يمنع النقل والترجمة والاقتباس
للاذاعة والمسرح وغيرهما إلا باذن خطي من المؤلف

الطبعة الأولى

١٣٨١ - ١٩٦١

النادي الشبابي

مطابع دار الفكر بدمشق
☎ ١١٠٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،
اللهم اجعل عملي هذا خالصا لك ،
اللهم اني أسألك أن تنفع به ، وأن تثيبني عليه ،
وصل اللهم على سيّدنا محمد معلّم الخير وعلى آله
وصحبه ومن تبعهم باحسان .

لو فكرت في حال الصالحين من المسلمين اليوم لرأيتهم يصلون كما كان يصلي السلف، ويصومون كما كانوا يصومون، ويتلون القرآن، ويصدعون بالأذان ، ثم لا يكونون مثل السلف، ولا تكون لهم أخلاقهم ولا مزاياهم، ولا عزتهم ولا جهادهم ، ولا منزلتهم عند الله ، ولا عند الناس .

ولو فتشت عن السبب في هذا الاتفاق وهذا الاختلاف ، لرأيت القرآن هو القرآن ، ما تبدل ولا تغيّر، بل ان عندنا من التفاسير الكثيرة ما لم يكن عندهم ، والسنة قد احصيت وصنفت ، ومُيّز صحيحها من ضعيفها ، ومرفوعها من موضوعها ، وقد بحث عن أحوال نقلتها ورواتها ودرجات حفاظها ومخرّجيها، وأُلّفت الكتب الكبار في شرحها وبيانها، وعندنا في الفقه آلاف وآلاف من الكتب ، في أصوله وفروعه ، على اختلاف مذاهبه وتعدد طرائقه ، ولعل فينا اليوم من هو أحفظ لفروع المسائل وأدلتها وأجمع لها من الأئمة الأولين ، ومساجدنا أرحب وأجمل ومآذننا أعلى وأطول ، ومؤذنونا أندى أصواتاً وأكثر تنغيماً .

فلم قصّرنا ولنا هذا كله ؟ ولم سبقونا وما كان عندهم منه إلا القليل ؟

السبب هو أن الدين كان لهم معنى في لفظ ، فصار لنا لفظاً بلا معنى ، وكان روحاً في جسد ، فصار جسداً بلا روح .

خذوا كلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » التي دعا الرسول ﷺ العرب إليها ، وأُمر أن يقاتلهم إن لم يقولوها ، فإذا قالوها كان بها عصمة دمائهم وأموالهم .

لقد رغبوا عن هذه العصمة ، وهم راغبون فيها، وارتضوا الحرب وهم كارهون لها ، واستسهلوا بذل أموالهم ودمائهم عن النطق بها ، إذ كان لهم على جاهليتهم من الادراك ما فهّمهم معناها، ووقفهم على نتائجها فعرفوا ان وراءها (التزامات) في العقيدة وفي القول وفي العمل ، وان من قالها وكان من أهلها ، لم يكن له ان يسأل ، فيما وراء الأسباب الظاهرة ، إلا الله ، ولا يعتمد إلا على الله ، وأن يؤمن بأنه لا ينفعه ولا يضرّه إلا الله ، وأن لله وحده الخلق وله الأمر وله الحكم ، وأنه لا يشفع عنده شافع إلا باذنه، وأنه ليس بينه وبين العبد واسطة يتخذها (زلفى) إليه...

وكان لهم من الخلق ما منعهم أن يكذبوا فيها فيقولوها بألسنتهم ، ثم لا يخالط الايمان بها حبات قلوبهم ، ولا تظهر آثارها في الدقيق والجليل من أعمالهم ، وفي الظاهر والخفي من شؤون حياتهم .

لقد عاندوا وكابروا ، وجالدوا وقاتلوا ، ثم منّ الله عليهم بالهداية فقالوها ، فلما قالوها اتخذوها دستوراً لهم ، وعنواناً لفصل جديد من كتاب حياتهم ، لم يكن فيه من الفصل الأول إلا ماقرره الإسلام وارتضاه من الفضائل والخيرات التي صاروا بها سادة الأرض كلها .

ونحن نمرّ هذه الكلمة على ألسنتنا عشرين مرة في اليوم ، ولكنا لا نكاد نتصور لها دلالة ، ولا ندرك لها معنى ، ولا يظهر لها في حياتنا أثر ، إنما هي كلمات يتحرك بها اللسان ، ولا يعيها الجنان .

كانوا (إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلتْ قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتهُ زادتهم إيماناً) ، ونحن نذكر الله بلا خوف ولا وجل ، ولا رجاء ولا أمل .

وكان الذكر ذكرين: ذكر القلب أن الله سميع بصير (١) لا تخفى عليه خافية ، وأنه لعباده بالمرصاد . وذكر اللسان ، كسبحان الله والحمد لله والله أكبر ، فجعلنا الذكر سخرية وعبثاً ، رقصاً وقفزاً ، وتحريفاً لاسم الله إلى (اه) و (اح) ، أو درنا كما تدور المولوية دوران المجانين.

وقرر الله في القرآن أن الرسول بشر مثلنا وإن امتاز بالوحي والرسالة علينا ، ليس له من الأمر شيء ، وأنه لا يعلم الغيب ، وأكد ﷺ ، وهو المبيّن للقرآن ، أنه لا يغني عن عمه العباس ، وعن ابنته فاطمة ، من الله شيئاً ، وهما أقرب الناس إليه ، فكيف بسائر الناس ، ونهانا أن نطريه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فخالفنا ذلك كله ، ورحنا نتلو في صباحنا ومسائنا أمثال هـذا البيت الفظيع ، نخاطب به الرسول ﷺ :

عجل بإذهاب الذي اشتكي فإن توقفت فمن اسأل ؟

---

(١) جملة ان الله سميع بصير ، مفعول به لـ (ذكر)

فخبروني سألتكم بالله ، عمن يقول هذا الكلام العربي الواضح المعنى أين هو من التوحيد الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ ؟

ولا يزال المنشدون عندنا ينشدون إلى الآن في الموالد ، وفي الاذاعات، أمثال هذه الأبيات :

مالي سواك أبا الزهراء ملتجأ   يرجى لكشف هموم أنحلت جسدي
فانظر إليّ وخلصني بحقك من   هول القيامة يا غوثي ويا سندي
وامنن عليّ بأن أحيا بحبك عن   كل الوجود لأحيا مدة الأبدِ(١)

وكان من آخر ما أوصى به ﷺ ، وهو في آخر ساعات العمر ، إن الله لعن بني إسرائيل ، لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، فخالفناه حتى أنك لا ترى مسجداً ليس فيه قبر . ومالم يكن فيه قبر ، صورنا فيه صورة قبر خال ، كأننا نتعمد المخالفة تعمداً .

وقال لنا الرسول ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ ، أي أن الدين قد تم فلا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وطريق القربات إلى الله قد حدد ، فلا يوسّع ولا يضيق ، فعمدنا إلى أشياء ما أمر بها ، ولا كان عليها هو ولا صحابته فأقبلنا عليها ، وتمسكنا بها .

بدع ملأت المساجد، في الأذان وفي صلاة الجمعة وفي غيرها ، واعتقدنا أنها حسنة وأنها مطلوبة في الدين .

---

(١) الأناشيد الجليلة للمدرسة التجارية العلمية ، طبع دمشق سنة ١٣٥٠
ومثلها (لا أرجو غيرك ان جارا   دهري وعدمت الأنصارا)
ومئات من أمثالها .

ونسينا أنها إن كانت حسنة ، وكانت كمالاً ، كان عدمها (بالضرورة) سوءاً ونقصاً .

ومن نسب السوء والنقص إلى الرسول ﷺ كفر .

وقد هدم عمر المسجد الذي تعمدوا الصلاة فيه تبركاً لأن الرسول صلى فيه ، وقطع شجرة الرضوان لئلا يفتتن بها الناس .

وقال للحجر الأسود: إنك لحجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك .

وعزل خالداً سيد القواد ، خشية أن يعتقد الناس أن النصر به أو منه ، وما النصر إلا من عند الله .

كل ذلك لفرط إحساس المسلمين الأولين بالتوحيد ، وغيرتهم عليه ، وشدة وقره في صدورهم .

فانتهت الحال قبيل ولادة محمد بن عبد الوهاب أن تشعث هذا السد ، وتضعضع هذا البناء ، وخالط التوحيد كثير من الشرك ، فما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .

واعتقد الناس النفع والضرر بالرسول ﷺ والصالحين ، وبالقبور والاشجار والقباب والمزارات ، وصاروا يدعون هؤلاء جميعاً ، ويطلبون

الحاجات منهم ، ويرجعون في الشدائد إليهم ، وينذرون لهم ويذبحون لهم الذبائح .

واشتد تعظيم الأموات ، كأن المسلمين وقد توالت عليهم قرون ، فقدوا فيها مظاهر الحياة الاسلامية الأولى : العزة والفتوح وسيادة العلم وسيادة الحكم ، قد رأوا أنفسهم كالأموات وهم أحياء، فعوضوا أنفسهم عما فقدوا بتخيل أن الأموات الذين هم في المقبرة هم الأحياء في هذه الدنيا ، وراحوا يروون مناقبهم ، ويتحدثون بعظمتهم ، ويقرنونها في أذهانهم بما صاروا إليه ، فانتهى بهم ذلك إلى أن اعتقدوا أن الأموات ينفعون ويضرون ، وساعد على انتشار ذلك ما يعتقده الشيعة في قبور الأئمة ، وتلك (العتبات المقدسة) بزعمهم ، وما قدس الإسلام عتبات ، ولا قبوراً .

وكان حظ نجد من هذه الجاهلية الجديدة اكبر الحظوظ ، فقد اجتمع على أهله الجهل والبداوة والفقر والانقسام .

ولقد كان في كل ناحية من نواحي نجد من الأمراء ، بمقدار ما كان فيها من القرى ، ففي كل قرية أمير ، وفي كل ناحية جمعية أمم .

ففي جلاجل من ناحية السدير إمارة ، وفي بريدة من ناحية القصيم إمارة ، وفي الدلم من ناحية الخرج إمارة ، وفي ثرمدا من ناحية الوشم إمارة، وأمثال ذلك .

ولعل من هذه الإمارات، مالو اجتمع عشر منه لم يبلغ بمجموع العشر معاً مثل قرية (دوما) ، لا في العمران ولا في عدد السكان .

وكان في كل إمارة قبر عليه بناء ، أو شجرة لها أسطورة ، يقوم عليها سادن من شياطين الأنس ، يزيّن للناس الكفر ، ويدعوهم إلى الاعتقاد بالقبر ، والذبح له ، والتبرك به ، والدعاء عنده . .

أذكر على سبيل المثال على ذلك ، شجرة تسمى شجرة الذئب يؤمها العوانس يرتجين بها الزوج أو الولد .

وقبة على قبر منسوب إلى زيد بن الخطاب (اخى عمر) عليها الاستار الغالية ، والسرج والمصابيح ، تنذر لها النذور وتذبح عندها الذبائح .

وكانوا (كما يروي ابن بشر) إذا نزلوا في البلدان ، وقت الثمار ، عرض لهم المتطببون الجاهلون فيأتيهم أهل المريض يسألونهم العلاج ، فيسترون جهلهم بالخرافة وبالشرك ، فيقولون لهم :

اذبحوا له خروفاً أسود ، أو تيساً أصمع ، في محل كذا ، ولا تسموا الله على ذبحه ، وانذروه لصاحب القبر ، فيشفى المريض وأمثال ذلك .

وكان العلماء قلّة ، والحكام عتاة ظلمة ، والناس فوضى يغزو بعضهم بعضا ، ويعدو قويهم على ضعيفهم ...

* * *

... في تلك البيئة نشأ محمد بن عبد الوهاب ، فرأى شمس الإسلام إلى أفول، ورأى ظلمة الكفر إلى امتداد وشمول، وأراد الله له الخير فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول ، أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأمة دينها، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصف به في تاريخنا . فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح، والدين الحق ، والالفة بعد الاختلاف ، والوحدة بعد الانقسام ولا أقول إن الرجل كامل فالكمال لله ، ولا أقول إنه معصوم فالعصمة للأنبياء ، ولا أقول إنه عار عن العيوب والأخطاء ، ولكن أقول أن هذه اليقظة التي عمت نجداً ، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة ثم إلى ما حولها ، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام ليست إلا حسنة من حسناته عند الله ، إن شاء الله .

أسرة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب من أسرة علم ما كان في نجد في القرون الخمسة الأخيرة اسرة أنجبت من العلماء الأعلام مثلها أنجبت ، كان جده سليمان ابن علي عالم نجد في زمانه ، وكان هو مرجع المستفتين ، وملاذ العلماء والمتعلمين، وكان فقيها ، عارفاً بالمذاهب ، له فتاوى مشهورة، وله كتب.

وكان له ولدان عبد الوهاب وابراهيم اشتغلا بالعلم ، ونبغا فيه ،

أما ابراهيم فاقتصر على القراءة والتعليم ، وكان كأبيه يفتي ويدرس ، وخلفه في ذلك ابنه عبد الرحمن .

وأما عبد الوهاب فولي القضاء في العيينة ، في إمارة ابن معمر (عبدالله ابن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر) وقد ازدهرت في أيامه العيينة ، وعمرت وقصدها التجار ، فلما مات ابن معمر في الوباء المشهور سنة ١١٣٩ هـ وتولى بعده حفيدة محمد بن حمد المعروف بخرفاش ، كانت بينه وبين القاضي (الشيخ عبد الوهاب) منازعات ، فعزله من القضاء وجعل مكانه احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب فانتقل إلى حريملة قاضياً لها .

وكان لعبد الوهاب ولدان محمد وسليمان .

أما سليمان فكان عالماً فقيها ، وقد خلف اباه في قضاء حريملة (١) ، وكان له ولدان عالمان عبد الله وعبد العزيز ، وكانا في الورع والعبادة آية من الآيات .

أما محمد ، فهو صاحب الدعوة التي عرفت بالوهابية .

نشأته

ولد محمد في قرية العيينة ، لما كان أبوه قاضياً فيها ، سنة ١١١٥ هـ ،

---

(١) وقد ناوأ أخاه ، وعارض في دعوته وأيد خصومه ، ثم وفد عليه مبايعاً

وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب يشتغل مع القضاء بالاقراء والتدريس ، وكان له تلاميذ يقرؤون عليه من العلم ما كان يقرأ في تلك الأيام ، فيحفظون القرآن، ويحفظون بعده طائفة من صحاح الأحاديث، ويدرسون النحو والصرف والفقه الحنبلي ، وكانت دراسة الفقه على الأسلوب الذي كان معروفاً في دمشق ، من خمسين سنة ، ولا يزال بعض العلماء يرى أنه هو الأسلوب الصحيح ، وهو قراءة عبارات الكتاب وشرحها ، يشتغلون بألفاظ العبارة أكثر من اشتغالهم بموضوع الكتاب .

فحضر محمد هذه الدروس ، وظهر نبوغه مبكراً ، وتبين لأبيه ذكاؤه واستعداده ، فخصه بعنايته واهتمامه ، فما قارب الولد البلوغ حتى كان قد حفظ القرآن ، ومجموعة كبيرة من الأحاديث الصحاح ، وأخذ بحظ وافر من العربية وفقه أحمد بن حنبل .

ونظر فيما يشغل به وقته بعد فراغه من الدرس وينفق فيه الفضل من نشاطه ، فلم يجد إلا نسخ الكتب فأولع به حتى كان يكتب الكرّاس (أي الملزمة) في جلسة واحدة .

ولم يبق عند أبيه ما يزداد به علماً ، ولم يكن في العيينة من يقرىء ويعلم ، فاستأذن أباه بالحج وبالرحلة لطلب العلم .

حجه

وذهب إلى الحجاز ، فحج ولبث في الحرمين شهرين ، جلس فيهما في حلقات العلماء ، فرأى شيئاً لم يجد مثله عند أبيه وعلماء بلده .

ورجع إلى العيينة فلبث فيها إلى الموسم الثاني ، فحج ، ثم ذهب إلى المدينة للطلب والتحصيل .

طلبه العلم

ولقي في المدينة رجلين وكان لهما في حياته وفي توجيهه أثر كبير .
الأول ، شيخ نجدي ، من أسرة لها الوجاهة والرياسة في قرية المَجْمَعة[١] ، عالم عاقل ، من العاكفين على كتب ابن تيمية ، والمتبعين له ، الآخذين بآرائه ، هو الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف .

وكان متألماً مما وصلت اليه الحال في نجد ، من فشو الجهل ، وظهور المنكرات ، والبعد عن حقيقة التوحيد ، منكراً لذلك حريصاً على إزالته وتغييره ، ولكنه كان يعلم أن الطفرة مستحيلة ، وأن السبيل الموصلة الى هذا الاصلاح ، هي سبيل الدعوة والارشاد ، ونشر العلم .

---

(١) من قرى اقليم السدير في نجد

وقد حدّث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قال :

كنت عنده يوماً ، فقال لي : أتريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة؟

قلت له : نعم .

فأدخلني غرفة مملوءة بالكتب ، وقال :

ـ هذا هو السلاح الذي أعددته لها .

وابن سيف هذا هو الذي دلّ محمد بن عبد الوهاب على كتب ابن تيمية وأعانه على قراءتها ، وأجازه بها وبالكتب الستة وسائر كتب الحديث إجازة عامة (١) .

الرجل الثاني

أما الرجل الثاني ، فهو شيخ هندي الأصل ، سلفي المشرب ،

---

(١) والاجازة قسمان :

إجازة خاصة بكتاب معين ، يشهد الشيخ فيها لتلميذه بأنه قرأ هذا الكتاب ، وفهمه ، ووقف على مافيه . وإجازة عامة بمجموعة من الكتب ، أو بكتب علم من العلوم ، أو بالعلوم العربية أو الإسلامية كلها ، وهي شهادة للتلميذ بأنه صار أهلاً لمراجعة كتب هذا العلم ، وتدريسها ، والفتوى بما فيها .

والاجازة الخاصة في عرف العلماء الأولين أعلى درجة وأولى بالاعتبار ، لأنها لا تكون إلا بعد اختبار حقيقي ، وتلك تعطى على الظن والتقدير ، ويتساهل في العادة في إعطائها .

ينكر البدع والمحدثات إنكاراً صريحاً ، هو الشيخ محمد حياة السندي(٢)

ويظهر أن الشيخ كان يغلو في الانكار على فاعليها حتى يصل إلى تكفيرهم وتطبيق الآيات التي نزلت في المشركين عليهم .

وقد نبّه محمداً إلى مايصنع بعض زوار قبر الرسول ﷺ ، من المنكرات التي لم تكن ، وقال له :

ـ أترى إلى هؤلاء (إنّ هؤلاءِ متبّرٌ ماهم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون).

ويظهر أن ما أنكروه على ابن عبد الوهاب من تكفير الناس كان أثراً من آثار هذا الشيخ الهندي .

شيوخ آخرون

واتصل في المدينة بمشايخ آخرين، حضر عليهم، وسمع منهم، وأخذ اجازتهم، ولم يكن لأحد منهم من الأثر في نفسه ما كان للشيخ السندي، ولابن سيف، وكان تأثير السندي أوضح وأعمق ، لأنه أميل إلى الشدة ، وابن عبد الوهاب صريح عنيف ، كابن تيمية ، وابن سيف هادىء ، يريد الدعوة الهادئة .

---

(٢) كان له اشتغال بالحديث ، ألف فيه كتاباً سماه : تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام وله شرح للأربعين النووية توفي سنة ١١٦٥

ومن هؤلاء المشايخ ، شيخ تركي الأصل ، قدم المدينة من الشام، فأقام فيها مجاوراً ، هو الشيخ علي الداغستاني ، ومنهم الشيخ اسماعيل العجلوني ، واثنان من علماء الاحساء هما الشيخ عبد اللطيف العفالقي والشيخ محمد العفالقي (١)

ولم يحدد أحد ممن ترجم لابن عبد الوهاب مدة إقامته في المدينة .

الاتجاه الى السلفية

وفي هذه الفترة تم اتجاه محمد بن عبد الوهاب الوجهة التي عرف بها وثبت عليها طول عمره ، وكان العامل الأول في توجيهه هذان الشيخان.

على أن هنالك عوامل خفية لولاها لم يكن لهذين الشيخين ذلك الأثر في نفسه ، هي استقلال فكره ، وحدة طبعه ، وجرأة نفسه ، إذ ربي على الحرية والاكرام ، وعود من صغره التفكير والبحث ،ثم ما كان حوله من مظاهر الجاهلية التي تنسب كذباً إلى الإسلام ، ويدرك العاقل بأيسر نظرة أنه لايمكن أن يقول بها الإسلام ، ولا يقرّها العقل من تعظيم الأشجار والاحجار ، ونسبة الضرر والنفع اليها ، فاجتمع على توجيهه عامل الاستعداد النفسي ، وعامل البيئة ، وعامل الثقافة .

---

(١) من نسل الشيخ ابن عفالق قاضي العيينة المتوفى سنة ١٠١٩

في البصرة

وقد عاد إلى نجد ، فاستأذن أباه أن يكمل رحلته في طلب العلم ، فيتوجه الى الشام ، فأذن له ، وكان الطريق على البصرة ، فلما وصل اليها وجد فيها عالماً سلفياً له مدرسة يقرىء فيها اسمه الشيخ محمد المجموعي (نسبة الى المجموعة ، حي من أحياء البصرة) فحضر عليه ، وسمع دروسه ، ورآه قائماً بانكار المنكر ، صريحاً في ذلك لايداري فيه ولا يساير ، وكان في نفس ابن عبد الوهاب مثل البركان يريد أن يتفجر فلقي منفذاً ، فانطلق يعلن بالإنكار يشجعه على ذلك شيخه المجموعي ، وزاد حتى راح يكفر المسلمين جميعاً .

وقد حدّث الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسهُ بما كان بينه وبين أهل البصرة فقال :

كان ناس من مشركي البصرة يأتون إليّ بشبهات يلقونها عليّ ، فأقول : لاتصلح العبادة إلا لله ، فيبهت كل منهم ولا ينطق .

وهذا صريح كلامه بتكفير المسلمين ، واعتبارهم مشركين ، ولعل هذا هو سبب ثورتهم عليه ، حتى أخرجوه من البصرة ، وأحسب أنه لو سلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، وكان أوسع صدراً وألين جانباً ، لما لقي منهم الذي لقي .

خروجه من البصرة

ولم يعد أهل البصرة يطيقون هذا العنف في الدعوة ، فاجتمعوا عليه فآذوه وآذوا شيخه المجموعي ، وأخرجوه من البلد ساعة الظهيرة ، فتوجه إلى الزبير (١) ، بغير زاد ولا راحلة ، منفرداً يمشي على رجليه ، فبرّح به العطش وأشرف على الهلاك ، فلقيه رجل من الزبير يقال له ابو حميدان ، كان معه حمار ، فأشفق عليه فسقاه وحمله على حماره حتى اوصله إلى الزبير .

ووجد الشيخ ان نفقته التي كانت معه قد ضاعت ، فضاع أمله في الوصول الى الشام وعاد الى نجد ، ومرّ بالاحساء فنزل على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الاحسائي ، وكان فقيهاً شافعياً متمكناً ، لم يكن من طراز ابن سيف والسندي والمجموعي ممن عرف ابن عبد الوهاب وألف ، فتركه وعاد الى نجد ، فاستقر في حريملة ، وكان أبوه قد فارق العينية وانتقل اليها ، قاضياً فيها ، سنة ١١٣٩

الجهر بالدعوة

وجلس في حلقة أبيه يحضر دروسه ، وينكر ما يرى من البدع

---

(١) الزبير اليوم قرية كبيرة اهلها سلفيو المشرب . وهي البصرة القديمة وفيها قبر الزبير وإليه نسبتها

والمخالفات ، واشتد في ذلك حتى أثار عليه الناس ، ولم يرتض أبوه هذا المسلك منه ، ولم يقره عليه ، وكان يؤثر المسالمة ويكره العنف ، فنهاه حتى وقع بينهما كلام (كما يقول ابن بشر [1]) ولكنه استمر على دعوته وإنكاره ، واستجاب له فريق من الناس وتابعوه ، وصار طلبة العلم طائفتين ، قليل منهم معه ، والكثير عليه ، وكان أبوه (كما يظهر) من رأي الطائفة الثانية .

وجاوز خبره حدود هذه القرية ، ووصل إلى العيينة والدرعية والرياض ، ومن كان حولها من القبائل .

بعد وفاة أبيه

وكان يرعى لأبيه حرمته ، ويوقره ، وإن رأى أن حق أبيه وطاعته لاتسوّغ له التوقف عن دعوته ، فلما توفي أبوه سنة ١١٥٣ انطلق الشيخ من عقاله ، ونشط في دعوته ، وبذل فيها ماأعطي من قوة واندفاع .

الى العيينة

وكان في حريملة قبيلة كبيرة ، انقسمت مع الزمن إلى فرعين كانا

---

(١) في كتابه عنوان المجد . وهو أوسع ما كتب عن الشيخ وعن الحركة الوهابية ، يليه تاريخ نجد للألوسي وتاريخ ابن غنام وكتاب ابن سحمان .

يتنازعان الرياسة، وكانت الرياسة دولة بينهما، فإذا حكم أحدهما لم يكن له على الآخر سلطان، فكان الفرع العاطل عن الحكم بمثابة الحزب المعارض اليوم، ولكنها معارضة قائمة على الشغب والعدوان والإفساد في الأرض.

وكان لهذا الفرع (لما تصدر الشيخ في حلقة أبيه بعد وفاته)، عبيد أشداء عتاة مفسدون يقال لهم (الحميّان)، كثر فسقهم واعتداؤهم على الناس، فنهاهم الشيخ، عن منكرهم، ودعا الناس إلى كف شرهم، فبيتوا مؤامرة لقتله، وتسوّروا عليه الجدار ليلاً، وكادوا يقتلونه لولا أن رآهم من صاح بهم ونبه الناس إليهم فهربوا.

ورأى الشيخ أن لا مقام له بعد ذلك في حريملة فانتقل إلى العيينة، وهي موطنه، وكان فيها مولده.

هو والامير عثمان

وكان أميرها محمد الذي عزل الشيخ عبد الوهاب قد توفي، وخلفه عثمان بن حمد (ابن معمر[1])، فتلقى الشيخ بالقبول، وأكرمه، وزوجه عمته الجوهرة بنت عبد الله.

وكان الشيخ لفرط ألمه مما يرى من حال المسلمين، ولما ركب في طبعه من الحدة والمضاء، يريد إصلاحاً عاجلاً، يسوق الناس إليه، ويكره من

---

(١) نسبته الى جده الاعلي معمر

يأباه عليه ، ولم يكن يرى لذلك إلا وسيلة واحدة [1] ، هي أن يستعين بسلطان أمير من أمراء نجد ، فلما أحسن عثمان استقباله في العيينة ، وأكرم وفادته ، وزوجه عمته ، أمّل فيه ، فعرض عليه مايدعو إليه من الرجوع إلى التوحيد الذي كان عليه السلف ، ونبذ البدع والمحدثات ، وقال له :

- إني أرجو إن انت قمت بنصر (لا إله إلا الله) أن يظهرك الله تعالى ، وتملك نجداً وأعرابها.

فاستجاب له عثمان ، ووعده المساعدة والنصر ، فأعلن الدعوة ، وجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبعه ناس من أهل البلد.

ازالة المنكرات .

وكان في العيينة كما كان في نجد كلها ، وفي سائر بلاد الإسلام ، أشجار تقدس ، وقبور تعظم ، وأحجار يعتقد أنها تضر وتنفع ، فكان يستأجر رجالاً يدفع إليهم من ماله ، ليهدموا القباب ، ويقطعوا الأشجار ، وكان فيها شجرة الذئب التي تقدم الكلام عليها ، وقد كان النساء يقصدنها إذا أردن زواجاً ، أو أضللن ضالـّة ، أو كانت لهن حاجة ، فيربطن بها الخرق ، ويسألنها ، فخرج إليها بنفسه ، ليقطعها في غفلة من أهلها ، فمر به

---

(١) اقرأ مقالة (طرق الدعوة إلى الله) في كتابي (فصول إسلامية)

راعي غنم ، فاعترضه وأراد أن يمنعه ، ولم يكن معه مال يسكته به ، فخلع رداءه ودفعه إليه .

وأصبح الناس فلم يجدوا الشجرة ، فهاجوا وماجوا ، وترقبوا بالشيخ العطب فوجدوه لم يصبه شيء .

وكان أكبر تلك الأوثان القبة المنسوبة لزيد بن الخطاب وكانت في قرية الجبيلة ، عليها الستائر الغالية ، والقناديل ، وأنواع الزينة ، يقلدون بذلك النصارى في كنائسهم ومزاراتهم ، ويؤثرون به في العامة .

ولم ير أن يقدم عليها وحده ، فشاور عثمان ، وقال له:

— دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل ، وضل بها الناس عن الهدى .

قال : دونكها فاهدمها .

قال الشيخ : إني أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا ، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي .

فسار معه عثمان بنحو ستمئة رجل ، فلما اقتربوا منها خرج أهل الجبيلة ليمنعوها ، فتأهب عثمان لحربهم ، وصفّ جنده ، وأعدّ سلاحه ، فلما رأوا ذلك يئسوا من منعهم بأيديهم ، فأقبلوا يمنعونهم بألسنتهم ، يخوفونهم عاقبة إقدامهم عليها ، يزلزلون بذلك أعصابهم ، ويضعفون نفوسهم

كما يفعل بعض أدعياء العلم حين يرون أحداً ينكر على بعض مبتدعة المتصوفة ، ولايجدون حجة شرعية يكفونه بها ، فيحذرونه الكلام في هؤلاء لأنهم في زعمهم أولياء ، وكما فعل المشركون لما أمر الرسول ﷺ بهدم الأصنام وكسرها.

ولما رأى الشيخ ذلك أخذ الفأس ، وضرب به جوانبها ، وتابعه أصحابه ، وأزيلت القبة ، ومانال الشيخ ضرر ، إنما نال القوة والرفعة والظفر ، والثواب من الله والشكر من أهل الإيمان .

اقامة الحدود

وكان الشيخ هو الأمير حقاً ، ماللأمير معه إلا أن يأتمر بأمره ، وينفذ حكمه ، وبلغ من تأثيره في الناس ، أن جاءته فتاة نجدية ، تعترف بأنها قد زنت وهى متزوجة ، وتطلب أن يقام عليها الحد .

وكانت تعلم أن الحد هو أشد عقوبة عرفها البشر ، الرجم ، وأقدمت مع ذلك على الاعتراف وطلب العقوبة ، لما تمكن في قلبها من العقيدة ، ومارسخ فيه من الإيمان ، وهذا أسمي وأصعب مايتصور من ألوان (التضحية) بالنفس في سبيل الواجب .

والحدود في الشرع تدرأ بالشبهات ، ومن الواجب على الحاكم أن يتبع سنة الرسول في نفي الشبهات .

ففتح لها ابن عبد الوهاب باباً للنجاة فسألها : هل غصبت غصباً ؟ فأعلنت أنها كانت راضية مختارة غير مغصوبة ولا مكرهة . فتحقق من عقلها هل فيه شيء ، فتبين له صحة عقلها .

وأصرت إصراراً غريباً ، وكان موقف لا يكاد يجد له الباحث عشرة أشباه في تاريخ البشر ، موقف هو أعجوبة الأعاجيب في تاريخ الإيمان : امرأة شابة ذات جمال ، تعرض نفسها للتضحية وللألم ولاحتمال أقسى العقوبات ، خوفاً من الله وأملاً بالنجاة في الآخرة .

وأقام عليها الحد ، ومشى الخبر في البوادي ، فانقطعت به طرق الزنا كما انقطعت السرقة فيما بعد من جزيرة العرب بإقامة حد القطع(١).

الصلاة

ورأى الشيخ المسلمين منصرفين عن صلاة الجماعة ، وهي أولى شعائر الإسلام ، فأشار على الأمير عثمان بأن يلزم الناس بها ، ويمنعهم من التخلف عنها ، وجعل لذلك موظفين يدورون في الأسواق ، يجمعون الناس الى الصلاة ، فامتلأت المساجد بالمصلين ، ثم عمرت بمجالس العلم والذكر ، وأثمرت الحب بين الناس والتعاون بين المصلين ، وذلك أولى ثمرات الصلاة في الدنيا .

---

(١) سمعنا من الحجاج هذه السنة انها عادت مع الاسف لتهاون القوم بأمر الشرع.

منع المظالم

وكان الحكام يمدون أيديهم إلى أموال الناس ، يأخذون منهم الأموال الكثيرة ضرائب ما أمر بها الله ، ولا أجازها الشرع ، فمازال بالأمير حتى تركها واكتفى بالزكاة المشروعة ، يجمعها من حلها ، وينفقها في وجهها ، فبارك الله له بها ، وأغناه بها عن تلك المظالم(١) .

نكسة

وكان الأمير عثمان تابعاً لسليمان بن محمد عزيز الحميدي ، رئيس قبائل بني خالد أيام تسلطهم على الاحساء والقطيف والكويت ، وكان سليمان يعطيه كل سنة ألفاً ومئتي دينار ذهبي .

فلما سار الشيخ تلك السيرة مشى به الناس إلى سليمان ، وأوهموه أن الشيخ مبتدع محدث في الدين طامع في الملك .

فكتب إلى عثمان يأمره بكفه ومنعه مما هو فيه من إفساد الدين .

فعرض عثمان الكتاب على الشيخ فلم يبال به .

---

(١) على أن للحاكم المسلم ، أن يلزم الأغنياء بأكثر من الزكاة عند الضرورة ، وذلك بعد الرجوع الى الخبراء لتحديد مقدار الضرورة ، والى العلماء لبيان الوجه الشرعي في ذلك .

فعاد سليمان إلى تهديده ووعيده ، وأمره بقتل الشيخ وإلا قطع عنه ما كان يعطيه من المال ، وما كان يرسله مع المال من الكسوة والطعام ، فخاف عثمان وأظهر الضعف .

وحاول الشيخ تثبيته وقال له :

— إن هذا الذي أدعو إليه كلمة لا إله إلا الله ، وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله سبحانه يظهرك على عدوك . فلا يزعجك سليمان ، ولا يفزعك تهديده ، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ماستملك به بلاده ، وماوراءها ومادونها ، إن شاء الله .

فلم يجد عند عثمان ما كان يرجوه من الثبات ، ووجده قد غلب عليه الخوف ، ولكنه مع ذلك لم ينس خلائق العربي ، ولم يغدر بجاره ، فقال له :

— إن سليمان أمرنا بقتلك ، ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره ، وليس من المروءة ولا كرم الأخلاق أن نقتلك وأنت جارنا ، فشأنك ونفسك وارحل عن بلادنا .

الى الدرعية

وأمر عثمان طائفة من جنده فأخرجوا الشيخ جبراً ، وسأله رئيس

الجند ، وهو الفريد الظفيري ، أين يريد من البلاد ليحمله إليها ، فاختار الدرعية لأن له فيها مريدين وأتباعاً .

فسيره إليها يمشي على رجليه ، والجند وراءه على خيولهم ، يسوقونه أمامهم .

وكان يوماً حاراً ، تلظت فيه الرمال ، وتسعر الجو ، وتركوه من نصف الطريق وعادوا . فسار وحده على قدميه حتى بلغ الدرعية ، عند صلاة العصر ، فتوجه فيها إلى دار كبير أتباعه فيها وهو عبد الله ابن سويلم العريني .

هو وابن سعود

وأقبل الناس على دار ابن سويلم ، لما سمعوا بقدوم الشيخ ، حتى ضاقت بهم الدار ، وخاف ابن سويلم على نفسه من محمد بن سعود أمير الدرعية ، فثبته الشيخ وقال له :

— سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً إن شاء الله .

وجعل يدعو من حضره إلى التوحيد الحق ، ونبذ البدع والمحدثات والرجوع إلى الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ ، بلا زيادة ولا نقصان ، ولا تغيير ولا تبديل .

واستجابوا إلى مادعاهم إليه ، وأرادوا أن يخبروا بذلك الأميرابن سعود ، ويدعوه إلى نصرة الشيخ ،ولكنهم هابوا سطوته،وخافوا بطشه.

وكان للأمير زوجة ديّنة عاقلة ، اسمها موضى بنت أبي وهطان ، فذهبوا إليها فأخبروها بمكان الشيخ ، وبحقيقة مايدعو إليه ، فألقى الله في قلبها محبته والرغبة في نصرته.

ولما دخل عليها زوجها (ابن سعود) أخبرته خبره ، وقالت له :

ـ إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله إليك ، فأكرمه وعظمه ، واغتنم نصرته ، فقبل منها ، وأراد أن يدعوه إليه ، فقالت له :

ـ بل سر إليه أنت ، والقه في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ليعظمه الناس ويكرموه .

لقاء ومعاهدة

ومشى ابن سعود إلى الشيخ ، فلقيه في دار ابن سويلم ، فرحب به وقال له :

أبشر ببلاد خير من بلادك ، وأبشر بالعز والمنعة .

فقال له الشيخ :

ـ وأنا أبشرك بالعز والتمكين ، وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من

تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد وأول مادعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم .

ثم أخبره بما كان عليه رسول الله ﷺ ومادعا إليه ، وما كان عليه أصحابه من بعده ، وماأمروا به ومانهوا عنه ، وأن كل بدعة في الدين ضلالة ، وأخبره بما أعزهم الله ، من الجهاد في سبيل الله وأغنام به ، وجعلهم إخواناً ، وبما عليه أهل نجد اليوم ، من المخالفة والشرك والابتداع والاختلاف والجهل والظلم .

فقال له ابن سعود :

– ياشيخ ، هذا الذي تقوله هو دين الله ورسوله لاشك فيه ، وأبشر بالنصرة لك ، ولما أمرت به من الجهاد لمن خالف التوحيد ، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين :

الأولى ، أننا إذا قمنا بنصرتك ، وفتح الله لنا ولك البلدان ، أخاف أن ترتحل عنا وتدعنا وتستبدل بنا غيرنا .

والثانية : إن لي على أهل الدرعية قانوناً (١) آخذه منهم في وقت الثمار وأخاف أن تقول ، لاتأخذ منهم شيئاً .

فقال الشيخ :

– أما الأولى ، فابسط يدك أعاهدك ، وأما الثانية فلعل الله يفتح

---

(١) ويسمونه (أخاوة) وهو شيء كالضريبة .

لك الفتوحات على دين الله ورسوله ، وإقامة شرائع الإسلام فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير من ذلك القانون .

وتعاهدا على ذلك.

واستقر الشيخ في الدرعية ، وجعل أصحابه يتوافدون عليه ويجتمعون عنده .

عثمان يندم

ولما رأى ذلك عثمان أمير العيينة ندم على خروج الشيخ من بلده وركب إليه في عدة من رؤساء البلد ، فسأله الرجوع إليه ، ووعده بنصره ومنعته فقال الشيخ :

— ليس ذلك إلي ، إنه لمحمد بن سعود ، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت وإن أراد أن أقيم عنده أقمت ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره ، إلا أن يأذن لي .

فأبى ذلك محمد ، وأصر على استبقاء الشيخ ، فرجع عثمان .

الاصلاح في الدرعية

وكان أهل الدرعية ، كأكثر النجديين جاهلين مخالفين .

فبدأ الشيخ فلقنهم معنى (لا إله إلا الله) علمهم أصول الإسلام ، وعرفهم سيرة الرسول ﷺ وسير أصحابه وما كانوا عليه ، وأفهمهم أن الدين قد كمل ، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وأن كل بدعة في الدين ضلالة .

فما هي حتى غدت البلدة كلها كأنها مدرسة داخلية ، مدرسها الشيخ ابن عبد الوهاب ، وتلاميذها كل من كان في البلد من رجال ونساء وأولاد وأقبل عليها الناس من كل مكان .

فكان المسجد ممتلئاً بحلقات العلم والذكر ، يتعلمون منه ويعملون بما تعلموه ، ثم يعلمونه غيرهم .

يجتمعون على الصلوات والأذكار المأثورة ، والصلاة على النبي ﷺ وتلاوة القرآن مع التدبر .

فكأنها انتقلت الدرعية من قرية في نجد في القرن الثاني عشر للهجرة إلى حي من أحياء المدينة ، في صدر الإسلام .

الشيخ هو الامير

وكان الشيخ هو الحاكم الفعلي ، وهو الآمر الناهي ، بيده الحل والعقد ، والأخذ والعطاء ، مايجيء من الأموال ، قل أو كثر يدفع إليه ،

وينفق عن يده ، لايصدر أمر من محمد بن سعود إلا بعد مشورته ، الوفود عليه ، والضيوف في منزله ، والداخل إليه، والخارج من عنده.

يكاتب أهل البلدان

وكان الشيخ كمولد الكهرباء ، لايمسه أحد إلا سرى فيه من تيار روحه ، وكان كالمصباح القوي ، من قرب منه عاش في نوره ، وكان أبداً في تعليم وإرشاد ، وعمل نافع ، وجهد دائم .

فرغ من أمر الدرعية ، فبدأ صفحة جديدة في سجل الدعوة ، فكتب إلى أهل البلدان المجاورة ، وإلى أمراء العرب ورؤسائهم وقضاتهم ومدعي العلم فيهم ، يدعوهم إلى الرجوع إلى التوحيد الصحيح ، والإسلام الخالص ، الذي جاء به محمد بن عبد الله ، ﷺ ، ونبذ البدع والمحدثات .

فمنهم من قبل واتبع الحق ، وأقبل عليه وافداً مسترشداً .
فكان أول من وفد عليه عثمان بن معمر في أهل العيينة .
ثم وفد عليه أهل حريملة مبايعين .

الدعوة بالقوة

ولما رأى من أكثر من دعاهم الإعراض ، وأن منهم من لم يكتف

بالإعراض بل سخر بالدعوة ، ونسب إلى القائمين بها ماليس فيهم ، وجاهر بالعداء ، أمر الشيخ أصحابه بالجهاد.

وبدأت سلسلة المعارك التي امتدت من سنة ١١٦٠ إلى أن مات الشيخ وبقيت مستمرة بعده .

معارك متصلة ، لا تنتهي معركة حتى تبدأ أخرى .

معارك مع القبائل والبلدان المجاورة كلها ، كان أطولها وأشدها معارك الرياض مع دهام بن دواس . إلى أن انتهت بفراره وإخلائه البلد سنة ١١٨٠ .

معارك بذل فيها السعوديون أموالهم ودماءهم ، وغنموا فيها الأموال الكثيرة وأراقوا فيها الدماء أنهاراً .

ولقد كان أول جيش غزا في سبيل الدعوة بأمر الشيخ ، سبع ركائب فقط . يقول ابن بشر : إن راكبيها لم يكونوا قد اعتادوا ركوبها ، فلما أسرعت بهم سقطوا من أكوارها . ثم كثرت الجيوش وتتابع النصر ، حتى غلبوا كل من كان في نجد ، وجعلوها كلها إمارة واحدة تظللها راية التوحيد .

ولقد أعددت هذه الرسالة عن محمد بن عبد الوهاب في أقل من

عشرة ايام قرأت فيها أخبار هذه المعارك كلها ، ثم وقفت عند كتابة هذا الفصل قرابة سنتين ، ولم أقف لأني تعبت في تلخيص الأخبار أو إجمال حديثها ، فليس ذلك من موضوع هذه الرسالة، ولكني وقفت لأني لم أستطع أن أستخلص حكم الإسلام في هذه الحروب .

هل كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب والسموديين الحق في محاربة الناس ، واستحلال أموالهم ، وقتل رجالهم ، وتخريب بلادهم ، وهم ينطقون بالشهادتين ، ويقولون : نحن مسلمون

وإذا لم يحاربوهم ، فهل كان يجوز تركهم على جهلهم وضلال عامتهم وهم قادرون على إزالة تلك المنكرات التي كانت فيهم ؟

هذا ما ترددت سنتين في الجواب عليه ، ولم أستطع الجواب إلى الآن!

فأنا حين أذكر أن أبا بكر والصحابة حاربوا المرتدين ، مع أن أكثرهم لم يجحدوا الإسلام ، بل منعوا الزكاة فقط ، أجد للشيخ عذراً في حرب هؤلاء الأعراب الذين فعلوا أضعاف ما فعله أولئك الذين سميناهم أهل الردة .

وحين أذكر أن الشيخ كاد يكفر المسلمين جميعاً إلا جماعته ، مع أن هؤلاء المسلمين لم يعبدوا (جميعاً) القبور، ولم يأتوا (جميعاً) المكفرات ، وإنما فعل ذلك عوامهم ، وأن فيهم العلماء والمصلحين ، أقول ليس للشيخ عذر.

ثم انهم يتقيدوا في هذه المعارك بالقواعد التي وضعها الإسلام لحرب الكفار ، أيام الفتوح الأولى .

فالإسلام يأمر باعلان الحرب ، وان ننبذ اليهم على سواء، وهذه المعارك كان أكثرها مفاجأة للعدو . أذكر حادثاً واحداً ، من عشرات من الحوادث ذكرها ابن بشر ، وكتابه أمامي ، وأرقام الصفحات التي ذكرت فيها تحت يدي ، ولكن لا يتسع المجال لذكرها .

وهذه الحادثة هي أن أمير بلدة (حرمة) قدم على الشيخ بعد ما قبلت (حرمة) الدعوة ، وتبعت الشيخ ، يخبره أن أمارات الردة ونقض العهد قد بدرت منهم ، فبعث إليهم جيشاً يقوده عبد الله بن محمد بن سعود فسار من طريق غير مسلوك ليعمي عنهم الأخبار حتى يبغتوهم في بلادهم (وهذا الكلام وما يليه كله من كلام ابن بشر)، فساروا بالليل والنهار ، حتى وصلوا بلاد (حرمة) ليلًا وهم هاجعون ، ففرق عبد الله رجالاً في بروج البلد وفي أطرافها ، فلما انفجر الصبح أمر عبد الله كل صاحب بندق (بندقية)أن يثوّرها (أي يطلقها) ، فثوروا البنادق دفعة واحدة فارتجت البلد بأهلها ، وأسقط بعض الحوامل ، الخ ...

وأبو بكر ، لما وجه القواد لحرب المرتدين ، أمرهم ألا يعقروا نخلاً ولا يقطعوا شجرة⁽¹⁾ وهذه المعارك لم تخل واحدة منها من قطع الأشجار

---

(١) انظر كتابي (أبو بكر الصديق) فصل حرب الردة .

وحرق المزروعات وإفسادها، وتجد أمثلة على ذلك في الصفحات ٣٠-٥٢-٥٣-٥٦-٦١ وغيرها من كتاب تاريخ نجد لابن بشر .

وكانوا يستولون على أموال العدو كلها ، ولست أدري هل كانوا يسبون النساء ويستحلون فروجهن ، ولم أجد لذلك ذكراً . وابن بشر يصف الدرعية وكيف كانت في أضيق عيش، وكيف صار فيها من الأموال والسلاح المحلى بالذهب والفضة مالايوجد مثله ، ومن الخيل والجياد ، والنجائب العمانيات ، والملابس الفاخرة ، وغير ذلك من (الرفاهيات) مايعجز عن عن عدّه اللسان، ويكل عن حصره الجنان والبنان.

وهذا الذي نقلته هو كلامه بالحرف.

ويصف كيف كان على الشيخ أربعون ألف محمدية (دينار ذهبي) ديناً كان أنفقه على من هاجر إليه من الموحدين ، فقضاها كلها من غنائم الرياض يوم فتحها .

وكانت حوادث القتل بدعوى الردة كثيرة .

هذا عثمان بن معمر ، الذي كان أول من نصر دعوه الشيخ في العيينة وأول من قدم عليه مبايعاً في الدرعية ، كانت نهايته القتل .

أما ذنبه فهو انه كان أمير معركة ثرمدا ، ففاجأ مقاتلة العدو وهزمهم وقتل منهم سبعين رجلاً ، وكان معه عبدالعزيز بن محمد بن سعود فطلب

منه أن يأمر باحتلال البلد فأبى . فلما رجع شكاه عبد العزيز الى أبيه والى الشيخ ، فتغيرا عليه .

ثم نسبوا إليه أنه (نقض العهد) . فدفعوا نفراً من اصحابه الى قتله فقتل في العيينة ، في المسجد بعد صلاة الجمعة ، مع أنه كان اول من نصر دعوة الشيخ ، وان له صلة مصاهرة بابن سعود ، إذ كان ولده عبد العزيز متزوجاً بابنته ، وجاءه منها سعود .

كما أن إبراهيم بن محمد رئيس بلدة (ضرمى) قتل في مجلسه لأنه (كما قالوا) نقض عهد محمد بن سعود والشيخ .

ثم رفعت دعوى على القاتلين ، بأنهم بعد قتلهم الأمير أعجبوا بأنفسهم واحتقروا الرعية واهل الدين وقيل للشيخ ولابن سعود :

— ان هؤلاء لايؤمنون وإن عوقبوا بالجلاء أضرّوا بالبلد

فقال الشيخ والإمام (ويقصدون بالإمام ابن سعود) :

— نحن جاهلون بحالهم فإن كنتم تحققتم منهم شيئاً فامضوا فيهم بعلمكم . فقتلوهم جميعاً صبراً .

بل ربما وصل الأمر الي التدمير العام كما وقع لأهل بلد (حرمة) الذين تقدم الكلام عنهم . فإن سعود كتب الى أبيه عبد العزيز سنة ١١٩٣ (وكان هو الإمام) :

إن أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد . وإنهم لا ثقة بهم فكتب إليه أن يدمر البلدة

فدمرها كلها وارتحل أهلها فتفرقوا في البلاد.

ولكني أنظر في مقابلة هذا فأجد أن هذه المعارك ، قد نقلت نجداً من حال إلى حال .

حولتها من الانقسام والاختلاف، الى الوحدة .

ومن الشرك والجهالة والعصيان، الى التوحيد والعلم والعبادة .

وأصلحتها في أخلاقها وفي معاملاتها ، وكانت عاقبتها خيراً للناس في الدين والدنيا .

فهي كانت بذلك جائزة .

إني لاأزال متردداً في الحكم ، ولاأدري بماذا أجيب .

شهادة حق

على ان من الإنصاف أن أشهد أن الذي وقر في نفسي ، وقد قرأت سيرة الشيخ في أوسع مصادرها ، قراءة (حيادي) لا يدفعه الحب إلى إغفال العيوب ، ولا يسوقه البغض إلى ستر الحسنات ، أن الرجل كان أعلم وأتقى لله ، من ان يظنّ به الإقدام على القتل في هوى النفس ، او ابتغاء الدنيا ، والأشبه به الا يصدر إلا عن حجة شرعية . وليس في أيدينا تاريخ مفصل لهذه الوقائع وأسبابها ،وأوسع ما رأيناه من المصادر

كتاب ابن بشر، وهو يعرضها عرضاً موجزاً جداً، لا يزيد على بيان مكان المعركة وقوادها وعدد قتلاها. ولعل ماخفي من الأسباب، يبرّر ماظهر من شدة العقاب.

وقد سجلت هذا لئلا أظلم الناس، وحسابهم على الله، والله أعلم بحقيقة ما كان.

ومن الإنصاف أيضاً أن أقرر ان الشيخ لم يكن طالب دنيا، وأنها قد دخلت يده هذه الغنائم الهائلة، وهذه الأموال التي لا يحصيها العدُّ، وكان أمرها إليه، لا ينازعه فيها أحد، فطبق عليها أحكام الشرع في قسمة الغنائم، وسواء أكانت غنائم شرعية ام لم تكن، فإنه ما اختص نفسه منها بدينار ولا درهم، ولا ابتغى الغنى من طريق غيرها.

وكان المال أهون شيء عنده، وإعطاؤه أسهل شيء عليه، وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله، فلا يخشى الفقر، وكان عنده أبداً العشرات من الضيوف والوافدين، فكان ينفق عليهم كل ماتصل إليه يده من الحلال.

وقد اتفق الذين وصفوه على أنه كان كثير الذكر، دائباً على العبادة منصرفاً من صغره عن اللهو وعن الدنايا، وأن لسانه لا يفتر من ذكر الله، ولا يخلو من (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ.

وكان الذين ينتظرون قدومه ، يعرفون إقباله عليهم قبل أن يروه من سماع تسبيحه وتهليله .

وكان يتولى أمور الحكم خوفاً على الدعوة ، لا طمعاً بالسلطان ، فلما فتحت الرياض وزال ابن دواس العدو الأكبر ، واستقرت دعوة الحق في الأرض ، ترك الأمر لعبد العزيز ، وكان هو الإمام ، وفوض أمور المسلمين وشؤون المال إليه .

محمد بن سعود

وفي سنة ١١٧٩ توفي محمد بن سعود ، بعدما نصر الدعوة وأيدها ووطدها ، وأخضع لها أكثر أهل نجد ، فولي الأمر بعده ولده عبد العزيز ، فكان لا يقطع أمراً دون الشيخ ، ولا ينفذه إلا بإذنه ، مع أن الشيخ كان قد انسلخ من أمور الحكم ، ومن بيت المال ، ولزم العبادة ، وتعليم العلم .

* * *

أقام في الدرعية قريباً من نصف قرن ، حقق الله فيها على يديه ما لو تخيله (قبل وقوعه) شاعر أو أديب ، لظنوا أنه تخيل المستحيل ، وقالوا ، إنه من المجانين .

لقد بدل الله به الأرض غير الأرض ، والناس غير الناس .

أخرجهم به من ظلمة الجهل الى نور العلم ، ومن الانقسام الى الوحدة ومن الضلال الى الهدى .

ولقد أخذت على ابن بشر وغيره من المؤرخين في أول هذه الرسالة انهم يشبهون هذه الدعوة بالإسلام ، ويستعملون ألفاظ السيرة ، وأنا راجع مع ذلك إلى ما كنت أخذته عليهم ، فمشبه هذه النهضة بنهضة العرب في صدر الإسلام ، لأني لم أجد لها مثيلا إلا نهضة العرب بالإسلام .

ولا عجب في ذلك مادام العلماء هم ورثه الأنبياء ، ومادام الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها .

ومادام الرجل لم يأت بجديد ، ولم يدع الى بدعة ، انما جاء الناس بهدي محمد ، بكتاب الله وسنة رسوله ، ودعاهم اليها ، فإن هذه الاستجابة معجزة من معجزات الرسول ﷺ ، وآية جديدة على أن هذا الاسلام لايموت ، لأنه هو دين الله ، ولأن الله تعهد بحفظه وإنه إن حاقت به أوضار البدعة فأخفت جوهره ، لم يلبث أن ينتفض انتفاضة فيلقي عنه ماعلق به ، ويعود جوهراً نقياً خالصاً من الشوائب والأوضار .

وأنه إن انصرفت عنه قلوب أهله ، وأهملوا اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وحسب أعداء الله أنه انطفأ نوره ، وحانت منيته ، بعث الله له ، من يهز هذه القلوب ، يحرك فيها جذوة الإيمان ، فتعود إليه ، وتتمسك

به ، وإن هي لم تعد ، وبقي المنتسبون للاسلام على ضلالهم ، وسوء حالهم ، استبدل الله بهم قوماً غيرهم : أمة من هذه الأمم اليقظة الجادة تدخل في الإسلام ، وتخلص له ، وتكون هي أمة محمد ، ونرجع نحن (لاسمح الله ولاقدر) لادنيا ولادين .

مؤلفاته

لقد عرضت للشيخ محمد بن عبد الوهاب المشكلة التي تعرض لكل من يدعو منا الشباب اليوم إلى الإسلام .

إنه يجد أن التقرير والإلقاء لا يكفيان ، ولا بد من كتاب يرجع الشباب إليه ، والكتب الموجودة لا تصلح لهم ، والكتب التي تصلح لهم لم توجد.

فماذا يصنع الداعي منا اليوم .

إننا لم نستطع إلى الآن أن نجد الحل الكامل لهذه العقدة . أما ابن عبد الوهاب فقد وجدها .

إنه ألّف هو الكتب التي تحتاج إليها الدعوة .

وليست هذه الكتب ، حواشي طويلة مملة الأسلوب، معقدة العبارة، محشوراً فيها غرائب المسائل حشراً ، بل هي رسائل صغيرة

تعليمية ، واضحة ، جمع فيها أسس الاسلام ، وأركان الشريعة ، وسيرة الرسول ﷺ وهي معروفة ، لاتحتاج إلى تعريف بها .

أجلها وأنفعها (كتاب التوحيد)، وعني به علماء نجد ، شرحاً وتعليقاً ، وشروحه كثيرة :

كتاب (أصول الإيمان)

وكتاب (تفسير شهادة أن لا إله إلا الله)

وكتاب (معرفة العبد ربه وكتابه ونبيه)

وكتاب (كشف الشبهات)

وكتاب (مسائل الجاهلية) الذي شرحه ووسعه الألوسي

وكتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وكتاب (مفيد المستفيد)

وكتاب (إختصار الشرح الكبير والإنصاف).

وكتاب (آداب المشي إلى الصلاة) اقتبسه من شرح الإقناع

ورسالة في التقليد وأنه غيرواجب.

ورسالة الكبائر ، ومختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية

ورسالة (النبذة لمعرفة الدين)

ومختصر سيرة ابن هشام

وليس في هذه الرسائل إلا ماهو معدود من أركان الاسلام. وإن لم تخل من تشدد وغلو .

كقوله ، لما عدد نواقض الاسلام:

والثاني منها (أي من هذه النواقض) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويستغيث بهم ، ويستمد مددهم ، ويتوكل عليهم .

والمأخذ عليه في هذا أنه لم يبين ماريده بالشفاعة مثلاً ، وفيها ماهو ثابت في السنة .

وأنه سوى في ذلك بين الهازل والجاد والمختار والمكره ، مع أن الله يقول (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)

وجاء بما هو أبين من هذا وأصرح في كتاب (كشف الشبهات) وفي رسالة القواعد الأربعة مثل هذا .

على أن الحق أن كتب الحنفية تتوسع في باب التكفير ، وتحكم به لما هو أقل من هذا . والكمال لله وحده ، والعصمة لرسله فقط.

وفاته

توفي سنة ١٢٠٦ عن إحدى وتسعين سنة، أمضاها كلها في الدعوة

للاسلام ، والعمل على تجديده . كان ذلك هو لذته إن ابتغى الناس اللذائذ وكان هو همه إن تعددت في الناس الهموم ، ما كان له شاغل من شهوة بطنه ، ولا من الشهوة الأخرى ، ولا كان أربه جمع المال ، ولا كان حرصه على السلطان لمتعة السلطان .

عاش لهذه الدعوة ، ومات مقيماً عليها .

وإذا كان عمل ابن آدم ينقطع كله بموته إلا ثلاثاً ، صدقة جارية ، أو علم نافع ، أو ولد صالح يدعو له .

فلقد ترك أولاداً وذرية ما نعرف أسرة في هذه القرون الأربعة ظهر فيها من العلماء ما ظهر منهم ، وكان فيها من أرباب الصلاح بعدد ما كان فيهم ، ولا تزال هذه الدوحة مخضرة إلى اليوم حافلة غصونها بيانع الثمرات.

ولقد ترك علماً نافعاً . ولقد كتب في تاريخ النهضات الاصلاحية صفحة من أمجد الصفحات.

رحمه الله ، وغفر لنا وله ، وعصمنا من العصبية له ، ومن العصبية عليه ، وردنا إلى الائتلاف بعد الاختلاف ، وجمعنا كلنا تحت راية القرآن.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

النادي الشبابي